وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج–البويرة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: الشريعة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في: مقارنة الأديان

موسومة بـ:

جهود مالك بن نبي في الردّ على المستشرقين
-ظاهرة الوحي أنموذجا-

من إعداد الطالبتين:

- مريم العمري
- حنان محراز

تحت إشراف الأستاذة:

-د. أنيسة زغدود

السنة الجامعية:2019-2018

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعةأكلي محند أولحاج–البويرة

كليةالعلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: الشريعة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في: مقارنة الأديان

موسومة بـ:

جهود مالك بن نبي في الردّ على المستشرقين
-ظاهرة الوحي أنموذجا-

من إعداد الطالبتين:

- مريم العمري
- حنان محراز

تحت إشراف الأستاذة:

د.أنيسة زغدود

أعضاء لجنة المناقشة:

1 – الأستاذ الرئيس: د/عائشة أوهاب

2 –الأستاذ المناقش:أ/وحيد حرحوز

3- الاستاذالمشرف: د/أنيسة زغدود

السنة الجامعية:2019-2018

الإهداء

أهدي عملي المتواضع هذا إلى

معلم البشرية أجمعين سيدي وحبيبي محمد صلى الله عليه وسلم

إلى الوالدين حفظهم الله: أبي الحبيب وأمي الحبيبة

إلى إخوتي محمد، ولخضر إلى أختي فاطمة، سمية وإلى أختي الصغيرة هند

إلى شموع وبهجته عبد المالك،محمد عبد الباسط،إشراق، إسراء، ودعاء

إلى من تقاسمت معها عناء هذا العمل صديقتي حنان

إلى كل صديقاتي وزميلاتي

إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد

أهدي لهم ثمرة جهدي

مريم

الإهداء

إلى معلم البشرية أجمعين سيدي وحبيبي محمد صلى الله عليه وسلم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا .. ﴿٢٣﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣

إلى أنقى وأصدق عاطفة إلى الشمس التي أضاء شعاعها حياتي وغمرتني بدفئها وحنانها

فكانت شعاع الأمل ومهجة المقل أمي الغالية

إلى من أنار دربي وكان نبراس حياتي إلى مرشدي وسندي تاج رأسي أبي الغالي

إلى لؤلؤات البيت وزهراته الغاليات صبرينة ووسام أتمنى لهن التفوق في دراستهما، إلى

شموع البيت إخوتي نور الدين، عبد الرزاق ومحمد أتمنى لهم النجاح في حياتهم

إلى زينة البيت وفرحته إدريس، أمامة، حواء وأمهم الحنون أختي يسرى إلى من وقفت

بجانبي غاليتي سعاد وإلى الأخوال والاعمام الأعزاء وأبنائهم إلى من شاركتني هذا العمل

صديقتي مريم والى أساتذتي وجميع الصديقات وكل من أعرفهم ولم تسعهم هذه الورقة

ووسعهم قلبي فحفظ الله الجميع

حنان

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة ووفقنا إلى إتمام هذا البحث المتواضع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ

﴿١٥٢﴾ البقرة:-152-

والشكر الكبير بعد الله عز و جل لأعظم شخصيتين في الوجود الوالدين فقد كانوا لنا نعم المعينين و نعم السند فنسأل الله أن يرزقهم الراحة في الدنيا و نعيم الجنان في الآخرة

كما نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذة المشرفة "أنيسة زغدود" التي لم تدّخر جهدا في النصح والتوجيه و التصحيح حتى كانت هذه الدراسة على هذا الوجه.

كما نشكر الأستاذ عز الدين بن جميعه الذي كان سابق الفضل في تدليل طرق الخوض في هذا الباب من العلم والمعرفة. فجزاه الله عنّا خير الجزاء. كما لا يفوتنا أن أن نشكر أعضاء لجنة المناقشة على التفضل بقبول مناقشة المذكرة وعلى ما سيقدمون من نصائح وتوصيات.

كما نتوجه بالشكر إلى أساتذة قسم الشريعة و إلى كل من أفادنا بنصائحه وعلى رأسهم:

الدكتور بلخير عمراني والدكتور بدران بلحسن

مريم وحنان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه أما بعد:

التعريف بالموضوع:

إن الدّين ضروري في حياة الفرد والمجتمع ،فهناك ارتباط وثيق بينهما فلا يمكن لمجتمع أن ينشأ نشأة طبيعيّة سويّة ومنظمة إلاّ حين يرتبط بالدين ،فالفرد يحتاج دائما إلى ضوء الإيمان الديني الذي يعتبر الحجر الأساسي في تنظيم حياته لذلك اقتضت الحكمة الالهيّة أن يرسل في كل أمّة رسلا مؤيدين بكتب سماوية لإصلاح الخلق بعد اختلافهم وضلالهم وانتشار الفساد بينهم، وامتلاء الأرض ظلما وعدوانا وتحول الإيمان كفرا وطغيانا. وجعل سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وإمام المرسلين وجعلت رسالته للناس جميعا، وأيّده بالقرآن المعجزة الخالدة.

إلاّ أن أعداء الإسلام راحوا يبثون الشبهات حول كلام الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولأن الله تعالى تعهد بحفظ كتابه وشريعته السّمحة بقوله:﴿وإنّا له لحافظون ﴾ سورة : حجر -9-، فقد جعل من عباده من يدافع عن هذا الدّين القويم وعقائده وتشريعاته في كل زمان و في كل مكان.

وفي الحياة المعاصرة يمثل المستشرقون هذا التيار الذي يهاجم الإسلام في عقائده و أصوله بأسلحة مختلفة و متنوعة.و في هذا السياق الفكري يتموقع بحثنا الذي اخترناه و يظهر مالك بن نبي- رحمه الله تعالى- كمدافع عن أصول الإسلام.

أهمية الموضوع:

لقد اخترنا هذا الموضوع نظرا لأهميته الكبيرة ؛ إذ يدخل في مجال الدراسات المقارنة و نقد الأديان، فالحياة الواقعية تشهد حملة شرسة على أصول الإسلام ومصادره و عقائده ، فتحاول أن تشكك في القرآن و أن تشكك في السنة . وليس هذا العمل جديدا بل قديما يتجدد مع تجدد الخوف من الإسلام و نهضته ،و تكمن أهمية

الموضوع في بيان وعي مالك بن نبي لهذا التحدي و هذا الخطر و طريقته في مواجهته و معالجته باعتباره مفكرا إسلاميا ، وكذلك في إبراز خطر الدراسات الاستشراقية على الفكر و الشباب و المجتمع المسلم بسبب ما تنشره من شبهات وتحريفات و إغراءات .

الإشكاليـة:

تتمحور إشكالية هذا الموضوع الذي وسمناه بـ (جهود مالك بن نبي في الرد على المستشرقين – ظاهرة الوحي أنموذجا -)حول الجانب الأهم الذي يستحق الدراسة وهو إبراز مساهمةمالك بن نبي العلمية في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وفي الرد على المستشرقين الذين يطعنون في نبوة محمد صلى الله عليه و سلموبالتالي في القرآن وفي الإسلام .

فهذا الموضوع يستحق الدراسة لأجل تقدير مفكر جزائري فائق الوعي والذكاء والتبصر بمشكلات عصره. والأسئلة التي نطرحها: ما هي شبهات المستشرقين حول نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و ظاهرة الوحي؟ ما هي ردود مالك بن نبي؟ وما هي خصائص و مميزات فلسفة مالك بن نبي في معالجته لظاهرة الوحي ؟

أسباب اختيار الموضوع :

هناك عدة أسباب موضوعية وذاتية دفعتنا إلى دراسة هذا الموضوع :

أ-أسباب ذاتية:

وتتمثل في الميل إلى التعرف على مالك بن بني رحمه الله تعالى و على جانب من فكره؛ لأننا لا نعرفه.

- الرغبة في التعرف على مغالطات المستشرقين حول ظاهرة الوحي .

- الرغبة في التعرف على جهود ومناهج المسلمين في الرد على شبهات المستشرقين حول الإسلام.

ب – أسباب موضوعية:

و تتمثل في محاولة إبراز جهود مالك بن نبي في الرد على المستشرقين، و على شبهاتهم على الإسلام و آرائهم حول النبوة و الوحي المحمدي.

- المساهمة في إثراء المكتبة بدراسة أكاديمية علمية و لو بسيطة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إظهار شخصية مالك بن نبي النقدية في مجال الدراسات الاستشراقية ، و في موضوع خطير من موضوعات العقيدة و هو موضوع النبوة و الوحي ، وبيان كيف استطاع أن يحلل ظاهرة الوحي تحليلا دقيقا يتسم بالعمق و التنظيم و الشمول ، و ذلك في إطار رد حضاري مسؤول و واع لا يخرج عن فلسفة مالك بن نبي حول مشكلات الحضارة .

الدراسات السابقة :

لم نجد – فيما نعلم – دراسة حول الموضوع بهذا العنوان ، و إنما وجدنا مقالات نشرت في مجلات ، و هي تلخص الأفكار الواردة في كتاب الظاهرة القرآنية ، و لم نعتمد عليها ، لأن موضوعنا أوسع من ذلك؛ فهو دراسة تحليلة واستقرائية لفكر مالك بن نبي حول القرآن و الوحي في إطار الرد على المستشرقين في جميع كتبه.ولذلك نذكر فقط الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوعنا والتي استفدنا منها وهي كما يلي:

1-حورية قادري، النص والتلقي في الظاهرة القرآنية عند مالك بن نبي، جامعة طاهري محمد ،بشار الجزائر، مجلد7،مجلة دراسات،العدد:2، ت ن: جوان 2018م.

2- حسن موسى محمد العقيبي ، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجيستير، الجامعة الإسلامية غزة، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، 1426هـ-2005م.

3-عبد الله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية ط1، 1417هـ-1997م ،المعهد العالي للفكر الإسلامي هيرندن فيرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية.

4-فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني، مدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث،كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ،1433هـ.

5-إسماعيل أحمد الطحان ،تاريخ القرآن بين تساهل المسلمين وشبهات المستشرقين ، دون طبعة ، دون تاريخ النشر.

المنهج المتبع في البحث:

اتبعنا في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، بعد استخراج آراء مالك بن نبي حول النبوة و الوحي والرد على افتراءات المستشرقين و شبهاتهم،وذلك من خلال الرجوع إلى كتب مالك بن نبي في الموضوع و خاصة كتاب الظاهرة القرآنية الذي هو عمدتنا في البحث و كذلك كتاب إنتاج المستشرقين وبقية كتبه، مع دراسة تحليلية لآرائه، من خلال الباحثين و الدارسين لفكره .

منهجية البحث :

أما خطة البحث : فقد جاءت في مقدمة وستة فصول وخاتمة.

جاءت المقدمة للتعريف بموضوع البحث وأهميته وطرح إشكاليته، ثم بينا أهداف البحث، بعد ذلك قدمنا عرضا لبعض الدراسات السابقة ثم ذكرنا أسباب اختيارنا للموضوع، والمنهج المعتمد في هذه الدراسة والخطة المتبعة فيه ثم الصعوبات التي واجهناها خلال البحث.

ثم مهدنا للدراسة بفصل تمهيدي استكمالا لمتطلبات البحث كان بعنوان مالك بن نبي عصره وحياته فتناولنا فيه مبحثين :الأول الخصائص العامة لبيئة مالك بن نبي ، والمبحث الثاني تناولنا فيه مالك بن نبي حياته وأعماله.

ليخصص الفصل الأول لذكر دوافع مالك بن نبي وأهدافه من دراسة ظاهرة الوحي، تضمن مبحثين: الأول دوافع مالك بن نبي من دراسة ظاهرة الوحي، والمبحث الثاني تناولنا فيه أهداف مالك بن نبي من دراسة ظاهرة الوحي.

أما الفصل الثاني فجاء الحديث فيه عن الدلائل التاريخية لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه و سلم عند مالك بن نبي. ويشمل ثلاثة مباحث:المبحث الأولالظاهرة الدينية ظاهرة تاريخية أصيلة. أما المبحث الثاني:إثبات الوثيقتين التاريخيتن الأساسيتين للإسلام (القرآن والسنة)،والمبحث الثالث كان بعنوان إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة .

الفصل الثالث كان تحت عنوان الدلائل النفسية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عند مالك بن نبي واحتوى كذلك على ثلاثة مباحث، النبوة ظاهرة نفسية مستقلة عن إرادة النبي. والثاني النبوة ظاهرة مستقلة عن اللاشعور وتناولنا في المبحث الثالث الظاهرة النبوية مستقلة عن الظاهرة القرآنية.

والفصل الرابع يتناول الحديث عن إثبات المصدر الإلهي للوحي ويتضمن مبحثين، المبحث الأول ماهية الوحي عند مالك بن نبي،وخصص المبحث الثاني لخصائص الوحي عند مالك بن نبي.

والفصل الخامس ذكرنا فيه دلائل إعجاز القرآن الكريم عند مالك بن نبي. ويتضمن هو الآخر مبحثين المبحث الأول: الإعجاز الأدبي للقرآن أما المبحث الثاني فتناولنا فيه: الإعجاز في مضمون الرسالة.

وأما الخاتمة فقد ذكرنا فيها نتائج البحث مع التوصيات.

كما قمنا بعزو الآيات إلى السور في المتن ، و تخريج الأحاديث ، و إبراز نصوص الكتاب المقدس و كذا أسماء المستشرقين والفلاسفة بخط ثخين.

صعوبات البحث :

من الصعوبات التي واجهتنا خلال البحث:

وجدنا صعوبة في قراءة كتب مالك بن نبي و فهم فكره ومنهجه وغايته.و كلما هممنا بتفكيك فكرة من أفكاره وجدنا أنفسنا نسرح في علم من العلوم مستقل بذاته.

ومن أشد الصعوبات التي واجهناها في هذا البحث صعوبة اللغة وهذا ظاهر في استعمال مالك بن نبي للمصطلحات الفلسفية في نقد أصحاب الفكر الفلسفي الغربي و المستشرقين. والتي كان من المفروض أن يكون لنا فيها زاد واطلاع خاصة فيما يخص الفكر الديني.

و أيضا صعوبة الوصول إلى الأفكار التي تخدم بحثنا، في كتب النقد الحديث للأديان بصفة عامة والدين الإسلامي بصفة خاصة.

و منها صعوبة معرفة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها مالك بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية ولعلنا نجد لهذا الإشكال جوابا أكده مالك بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية، قائلا:" لم يتح لهذا الكتاب أن يرى النور في صورته الكاملة فالواقع أننا قد أعدنا تأليف أصوله التي أحرقت في ظروف خاصة. وهو كما هو الآن لا يكفي في علاج فكرتنا الأولى عن المشكلة القرآنية، فإن الموضوع يتطلب عملا شاقا طويل الأنفاس ومراجع ذات أهمية قصوى لم يكن بوسعنا الحصول عليها في محاولتنا الثانية."[1]

و كذا صعوبة تحديد منهجية شاملة لكل ما تناوله مالك بن نبي في الرد على المستشرقين حول ظاهرة الوحي.

و مع ذلك فقد استفدنا كثيرا من البحث، واكتشفنا لأول مرة مالك بن نبي المفكر الجزائري المسلم صاحب مشكلات الحضارة.

[1] مالك بن نبي ،الظاهرة القرآنية،ص53

الفصل التمهيدي: مالك بن نبي عصره و حياته

المبحث الأول: الخصائص العامّة لبيئة مالك بن نبي

المطلب الأول: الأوضاع السياسيّة

المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية

المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية والثقافية

المبحث الثاني: مالك بن نبي حياته وأعماله.

المطلب الأول: مولده ونشأته

المطلب الثاني: رحلاته

المطلب الثالث: تكوينه وإنتاجه الفكري

تمهيد: لما كان موضوع دراستنا هو محاولة الكشف عن جهود مالك بن نبي في الدفاع عن مصدريّة القرآن وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والرد على شبهات العديد من المستشرقين ،كان من الضروري الحديث عن البيئة التي نشأ فيها مالك بن نبي والظروف السّائدة في عصره و ذلك لبيان أثرها في تكوين شخصيته و توجيه فكره،ولذلك تناولنا الحديث في الفصل التمهيدي على الخصائص العامة لبيئة مالك بن نبي، وعن حياته وأعماله.

المبحث الأول: الخصائص العامّة لبيئة مالك بن نبي

عاش مالك بن نبي في عصر تمكنت فيه فرنسا من بسط نفوذها بمنطقة شمال إفريقيا للاستيلاء على خيراتها وثرواتها الزاخرة، وإخضاع سكانها بالقوة لسلطاتها وفرض سياستها الخانقة على الشعب الجزائري وحرمانه من كامل حقوق الإنسان الأساسيّة وتحكمت مطلقا في مقدرات الجزائر السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية. ولقد بلغ الاستعمار ذروته في الجزائر منذ 1871م-1914م، بعد أن تمكن من القضاء على الثورات المسلحة وأحكم قبضته على البلاد وأحدث تغييرا في حياة الجزائريّين مس جميع الميادين. يظهر ذلك في حديثنا عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

المطلب الأول: الأوضاع السياسيّة

الفترة التي عاش فيها مالك بن نبي عرفت تحولا عميقا في شتى المجالات وخاصة على الصّعيد السياسي، الذي سعى فيه الاستعمار إلى إخضاع الجزائر لأنظمته الخاصّة وقوانينه الجائرة وقد كان منذ دخوله سنة 1830م يهدف إلى ثلاثة أهداف[1]:

1- صنع الجزائر الفرنسية بكل ما تعنيه من أبعاد.

[1]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، (دار البصائر، الجزائر، 2007)، ص 89.

2- طمس التاريخ والشخصيّة الجزائريّة وإزالتها من الاعتبار.

3- قهر أيّ نوع من أنواع المقاومة الوطنيّة التي تعارض الاستعمار وسياسته الظالمة.

فعملت فرنسا على إلحاق الجزائر بها دستوريّا وسياسيّا، وبناءا على ذلك قسمت الجزائر إلى ثلاثة مقاطعات فرنسية تخضع للوزارة الحربيّة في باريس، وكانت تستخدم كل الوسائل الاضطهادية للاستيلاء على أراضي الأهالي.[1]

وقامت بفرض مجموعة من القوانين والإجراءات لتجسيد سياستها التي تسمح بابتلاع الجزائر وجعلها جزءا لا يتجزأ من فرنسا.[2]

وكانت أول خطوة منها وهي الاستيلاء على أراضي الجزائريين ومصادرة أملاكهم وحرمانهم من انتخاب نواب لهم في المجالس العامة والعمل على إلغاء القضاء الإسلامي وإخضاعهم للمحاكم الزجرية الفرنسية.وقد نجحت في الاستيطان بجلب الأوربيين والمهاجرين إلى الجزائر ومنحهم أراضي الشعب، وسخرت لهم كل موارد السكان الأصليين ومنحتهم الجنسية الفرنسية وأعطتهم حق الانتخاب.[3]

وذلك بهدف تحطيم العائلات الجزائرية الكبرى التي كانت تمثل القيادات للمجتمع الجزائري روحيا وماديا، وعملت للقضاء على القبائل والأعراش وفرض الضرائب وقامت بالتفرقة بين الأهالي والأوربيين، فالأوروبيين الأغنياء يدفعون أقل مما يدفعه الأهالي الفقراء واستمر هذا الوضع حتى عام 1919م.وعندما لاحت الحرب العالمية الأولى على الأفق

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق،ج2 ص: 89.

[2]- عمار بوحوش، تاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، (ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت)، ص 197، 198.

[3]- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، 1830-1954م، (دون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر)، ص 28 -31.

قامت فرنسا بفرض قانون التجنيد الإجباري على الشباب الأهلي عام 1912م. زاعمة أنها حققت المساواة بينهم وبين الأوروبيين، وحتى تغطي أهدافها قامت بتحقيق عسف القوانين الزجرية.[1]

وحاولت دمج المجتمع الجزائري في المجتمع الأوروبي حتى يتخلى عن أحواله الشخصية التي تتحكم فيها الشريعة الإسلامية.[2]

إن السياسية الفرنسية التي طبقت على الجزائر والترسانة من القوانين الزجرية التي فرضت ،كان لها أثر في بروز ردود أفعال مختلفة من مقاومات مسلحة ومقاومات سياسية، إذ عاشت الجزائر خلال العقد الأول من القرن العشرين فترة غنية بالأحداث السياسية الداخلية كان لها أثر كبير في نمو الوعي الوطني لدى مختلف الطبقات وتبلورها في شكل مقاومة وطنية.[3]

المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية

إن الإدارة الفرنسية الموجودة في الجزائر لم تنصب في بداية أمرها على هياكل اقتصادية، لكن بعد الحرب مع الأمير عبد القادر، عمدت السلطات الفرنسية العسكرية إلى حجز ومصادرة الأراضي الشاسعة منها للمستوطنين الأوروبيين المهاجرين إلى الجزائر، ثم بعد ذلك توالت الأزمات الاقتصادية؛ حيث كان الإنتاج والمستوى المعيشي منخفضا بسبب سياسات الاستعمار القمعية، وعمليات الإبادة الجماعية والجفاف وانتشار الأوبئة والأمراض،

[1]- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص: 32-33.

[2]- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج2، ص 99.

[3]- أكرم بوجمعة، أوضاع الجزائر في مطلع القرن العشرين، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان /الجزائر، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل،العدد 28، 2016م، ص 165

وارتفاع حصيلة الوفيات والقوانين الجائرة التي سنها الاستعمار الفرنسي لخدمة مصالحه وحماية ممتلكاته التي سلبها من السكان الأصليين.[1]

وأخطرها قانون الأهالي الذي أصدرته فرنسا بعد ثورة المقراني، وهدفه تفريق الشعب وتجريده من أراضيه وممتلكاته التي قدرت بـ 2.500.000 هكتار عقارا للقبائل التي شاركت معه، وتم تهجير السكان وطردهم من أراضيهم إلى أماكن أخرى فيمكن القول أن مجموع الأراضي التي استولى عليها الاستعمار في 1940 قدرت ب 10 ملايين هكتار.[2]

أما الصناعة التي تقوم بها النساء في المنازل كالنسيج والخياطة التقليدية وغيرها.والصناعة التي يقوم بها الرجال من أواني فخارية والنحاس والحلي والجلود.فقد تدهورت بعد دخول الاستعمار الفرنسي؛ عمل على القضاء عليها، وسيطر على الأسواق الجزائرية وفتح المجال للبضائع الفرنسية وغزوها للأسواق، مما أدى إلى انهيار الحرف والصناعات المحلية، ثم ركز على استخراج المواد المعدنية وإنتاج المواد الخام أو مواد أولية لصناعاتها.[3]

وحطم كذلك التجارة والحرفيين، وشردهم وزاحمهم بالشراهة فيميدنا لاقتصاد والغلظة و القسوة في ميدان السياسة والإدارة، إضافة إلى القوانين التي سنها الاستعمار؛ فقد كانت تخدم المستوطنين بصفة عامة وكبيرة وبذلك أصبحت الجزائر مرتبطة اقتصاديا بفرنسا تابعة لها.[4]

---

[1]- أكرم بوجمعة، مرجع سابق، ص 156.

[2]- عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1889-1985، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ، 2005، ص:10.

[3]- سعاد أسامة صاحب منعم، الأوضاع الاقتصادية العامة للجزائر في ظل إدارة الفرنسية 1830-1962، مجلة بابل للدراسات الإنسانية، العدد 3، ص 224، 228.

[4]- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ص: 35-36.

أما الجانب الزراعي الذي كان يعتمد عليه الشعب الجزائري في معيشته فقد استولى الاستعمار على الأراضي وحولها إلى زراعة الكروم وإنتاج الخمور والحوامض والتبغ، وكذلك استغل الحلفاء والفلين،وهذه السياسة ليست جديدة على الاستعمار فهو يهدف دائما إلى نهب خيرات وثروات الشعب الجزائري والسيطرة عليه وإدماج الاقتصاد الجزائري في الاقتصاد الفرنسي.[1]

المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية والثقافية

بذل الاحتلال الفرنسي كل ما بوسعه من أجل محو شخصية المجتمع الجزائري، وتغيير بنيته الإسلامية بفرض سياسة الإدماج والاستيطان بهدف إذابة المجتمع الجزائري في المجتمع الأوروبي بعد أن تغلغل في أعماق المدن والأرياف الجزائرية.[2]

وفي ظل هذه السلطة الأجنبية ،أخذ المجتمع يفقد مقوماته القديمة كالقبيلة أو الطرق الصوفية أو المدن الإسلامية ذات الحضارة العريقة التي عجز أهلها عن مقاومة التيار الفرنسي الذي أنشأ مكانها مستوطنات للمهاجرين الأوروبيين.وعمل على تفكيك الحياة الجماعية التي كانت تقوم على الوحدة العشائرية وتحويلها إلى جماعة قائمة فردية.[3]

وبعد القوانين الخانقة وسلب الجزائريين أراضيهم الزراعية التي كانت مصدر عيشهم، وفشل المقاومات الشعبية في صد نفوذ الاستعمار، زاد تدهور الحياة الاجتماعية في الجزائر، ممّا أدى إلى ظهور الفقر والمجاعة والأمراض التي حصدت العديد من أرواح الجزائريين وانتشار البطالة، بعد سلب أراضيهم الفلاحية، كما فرضت عليهم الضرائب التي أنهكت كاهلهم.ممّا أدى ذلك إلى هجرة جموع غفيرة من الجزائريين نحو أوروبا والدول الاستعمارية

[1]- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، (دون طبعة، دار المعرفة، 2006، ص 256).

[2]- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 41-42.

[3]- صلاح العقاد، الجزائر المعاصرة ، القاهرة جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، 1964، ص 70.

للبحث عن لقمة العيش، وهروبا من الأساليب القمعية التي كان يمارها عليهم الاستعمار وخاصة في فرض قانون التجنيد الإجباري 1912 قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى.[1]

وفيما يخص الأوضاع الثقافية،عمل الاستعمار الفرنسي على تحطيم النظام الاجتماعي الجزائري بالتدريج ،كما حاول أيضا أن يقضي على ثقافته العربية الإسلامية، تمهيدا لدمج الجزائريين في الكيان الفرنسي.[2]

فالأوضاع الثقافية كانت صورة حية لسياسة التجهيل التي انتهجتها السلطات الفرنسية تماشيا مع الأساليب الاستعمارية العامة التي تهدف إلى تمكين الاستعمار من البقاء مدة أطول في البلدان. فأول عنصر بدأت به فرنسا في الجزائر هو محاربة اللغة العربية والدين وثقافتها الإسلامية، ونشر لغتها الفرنسية بدلا منها، فاستولت على معاهد الثقافة والمساجد والمدارس، والزوايا وتم تحويل معظمها إلى كنائس وثكنات عسكرية، ومنع التعليم الابتدائي في 21 ما بين 1908.وفي 8 مارس 1938 ثم منع تعليم اللغة العربية واعتبارها لغة أجنبية وحارب الدّين بكل معالمه.[3]

ذكر أبو القاسم سعد الله أن الاستعمار كان غزوا فكريا؛ فقد كانوا يغزون المكتبات الخاصة ومكتبات الزوايا والمساجد بدعوى الإنقاذ، فالغزو الثقافي الفكري كان من أولويات الاحتلال الفرنسي في الجزائر.و قال :" غزا الفرنسيون الجزائر بالسلاح والعلم فحققوا الاحتلال والاستعمار والاستيطان بالسلاح والجيوش، وحققوا نشر لغتهم ودينهم وعاداتهم وصحافتهم ومطبعتهم ومسرحهم بالعلم والاختراع ."[4]

---

[1]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ص: 208، 209، 210، 211.

[2]- صلاح العقاد ، تاريخ الجزائر المعاصر، ص: 8.

[3]- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، 1830-1954، ص: 60، 61، 68.

[4]- أبو القاسم سعد الله، كتاب الحركة الوطنية، ج 1، (ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت)، 1962، ص: 89، 90.

وبعد تحطيم مصادر الثقافة المنتشرة في الجزائر وقتل العديد من الأئمة والمدرسين ومحاصرتهم ،ومنهم من نفوا إلى خارج الوطن،تم فتح مدارس لنشر التعليم الفرنسي ونفث سمومه في عقول الجزائريين،و ارتكزت المناهج التعليمية على التاريخ وجغرافية فرنسا بدل الجزائر والعالم الإسلامي؛ وكل ذلك بهدف جعل الشخصية الجزائرية في بوتقة الثقافية الفرنسية، كما أنه قام بالعديد من حملات التبشير والتنصير معتمدا على بعض الأعمال الإنسانية والتربوية بعد أن كان سببا في تجويع الشعب وذلك للقضاء على الدّين الإسلامي.[1]

وفي مطلع القرن العشرين بدأت تظهر بوادر الإصلاح بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي سنة 1931م، الذين كانوا يهدفون إلى الدفاع عن الهوية الإسلامية للمواطن الجزائري، وإصلاح عقائده من الخرافات التي كانت منتشرة وإيقاظ ضمائر الشعب، وإصلاح ما أفسده المستعمر بإقامة محاضرات وندوات في كافة ربوع الوطن.[2]

المبحث الثاني: مالك بن نبي حياته وأعماله

لقد كان للجزائر عبر تاريخها العريق علماء ومفكرون صنعوا المجد لهذه الأمة العظيمة، وساهموا في بناء أجيال الجزائر والأمة الإسلامية على الدّين وحبّ الوطن والاعتزاز بالشخصية العربية الإسلامية. ومن بين هؤلاء العظماء نجد المفكر مالك بن نبي الذي نحاول رسم شخصيته المقاومة بتناول أهم مراحل حياته وأعماله من مولده إلى وفاته رحمه الله تعالى.

المطلب الأول: مولده ونشأته

[1]- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1989، ج1، ص: 152، 153.

[2]- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص: 89، 90.

هو مالك بن الحجاج بن الخضر بن مصطفى بن نبي، ولد في مدينة قسنطينة إحدى المدن الجزائرية وكان ذلك بتاريخ 6 ذي القعدة 1323هـ، الموافق لي 28 يناير 1905م.[1]

ولد وسط عائلة محافظة، متكونة من الأب والأم وأختين وهو الابن الوحيد لهما يلقب بالصديق،وقد تكفل بتربيته عمه وزوجته بهيجة لكن بعد موت عمه ساءت الأحوال المعيشية لزوجة عمه، ممّا جعلها تضطر لإرجاعه إلى عائلته القاطنة في مدينة تبسة ممّا وجد نفسه في محيط جديد وبيئة تختلف عن بيئة قسنطينة.[2]

إنّ ولادته قد تزامنت مع التطورات الحاصلة في الجزائر والعامل الإسلامي؛ حيث يرى بن نبي أن ولادته في تلك الفترة كانت نقطة اتصال بالماضي والمستقبل فكان شاهدا على القرن، يقول في ذلك:" وعلى هذا قد كان لي حين ولدت تلك السنة الحظ الممتاز الذي يتيح لي أن أقوم بدور الشاهد على تلك الحقبة من الزمان."[3]

وهذا ما يجعنا ندرك السبب الحقيقي وراء تسميّته لمذكراته باسم مذكرات شاهد القرن،[4] فكانت جدته زليخة في نظره تمثل الماضي بما فيه من جمال الفطرة، وحبّ الخير والذكريات التي مرت بها أيام دخول الاستعمار، فكانت تصوغها في شكل قصص ترويها لأحفادها من بينهم مالك الذي كان يعتبرها المدرسة الأولى له ؛حيث تعلم منها القيم الإيمانية والأخلاق

[1]- عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، (ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت)، 2012، ص 51.

[2]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، القسم الأول الطفل، 1905-1930م، والقسم الثاني الطالب 1930-1939م، (ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت). القسم الأول: 1969م، القسم الثاني: 1970م، ص 18، 19.

[3]- المصدر نفسه، ص 15.

[4]- عبد الله بن حمد العويسي، المرجع السابق، ص 52.

السامية حيث يقول عنها: "كانت هذه مدرستي الأولى فيها تكونت مداركي... تعلمت من جدتي أن الصدقة والعطف من أهم الأخلاق التي اعتنى بها الاسلام..."[1]

ويذكر في مذكراته أنّه لمّا بلغ السادسة والسابعة من العمر ساء الوضع المادي لأسرته إثر بيع جده لأبيه جميع ممتلكاته وهجرته الجزائر مع ابنه محمود، متجها نحو طرابلس وذلك بسبب جور المستعمر الذي اجتاح أراضي الجزائر، ممّا جعل الأهالي يهاجرون أرض الوطن هروبا من السياسات الاستعماريّة القمعيّة.[2]

وبالرغم من هذه الظروف القاسية للأسرة إلا أنها لم تهمل الجانب العلمي، فكان والده من خريجي المدرسة الرسمية والتي بفضلها استطاع أن يعمل في القضاء الإسلامي والتي مكنته من إلحاق ابنه بالمدرسة الفرنسية حيث زاول فيها دراسته الابتدائية [3]، ولم تكتف أمه بهذا بل كانت تعمل جاهدة على توفير المال من أجل إعانة أسرتها، وأدخلت ابنها إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم، ويذكر ابن بي أن نفقة المعلم لم تكن متوفرة في أحد المرات لدى العائلة ممّا جعل أمّه تقدم سريرها الخاص لتغطية نفقة ابنها.يقول في هذا:" ولا أزال أذكر ذات يوم أنها اضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل المال سريرها الخاص."[4]وهذا يدل على الأوضاع المزرية التي عاشها مالك بن نبي وأسرته.

وبعد تفوقه في المدرسة الابتدائية، رجع إلى مسقط رأسه بقسنطينة عام 1920م لإتمام دراسته الثانوية .وهناك بدأ مرحلة جديدة من خلال تنقلاته بين قسنطينة والتي كانت مركزا تقليديا للثقافة العربية الإسلامية وعلى وجه الخصوص مع بداية الحركة الإسلامية بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس. وفي هذه المرحلة تعرف على أحد تلامذة الشيخ والذي جعله

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص 19.

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 16.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 24.

[4]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 19.

يشعر أنهم ينتمون إلى اتجاه فكري واحد، و قارن مالك بن نبي بين بيئة قسنطينة وبين تبسة ذات الطابع البدوي والتي لم تكن قد وصلت إليها أيادي الاستعمار بعد، وكانت تتميز بمتانة الخلق وقوة الشخصية وكرمها في الطبع ولم تعاني من الانحلال الأخلاقي فقد حافظت على أصالتها.[1]

وبهذا اتسعت مدركاته وحبه للاطلاع والثقافة والمناقشة خاصة إذا تعلق الأمر بالموضوعات العلمية والدينية.واتصل بالشيخ (عبد المجيد)أستاذ في اللغة العربية والنحو، والأستاذ **(مارتان)** وقد استطاعا هذان المعلمان أن يحددا فيما بعد ميولاته الفكرية كما قال في مذكرته.[2]

كما أنه تأثر بالحركة الإصلاحية التي كان يقودها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وبدأ الناس يلتفون حول هذه الحركة التغييرية وتركوا اللهو في المقاهي، فكان بن نبي من أشد المعجبين بابن باديس وفكره الإصلاحي، إلا أنه لم يسبق وأن كلمه.وتخرج مالك بن نبي من المدرسة الثانوية كعون إداري سنة 1925م، وقرّر البحث عن عمل أو نشاط يمارسه، لكن بدون فائدة، فحالته كحال باقي الجزائريين المضطهدين.[3]

المطلب الثاني: رحلاته

أولا: رحلاته الداخلية:بعد تخرج بن نبي من المدرسة في قسنطينة عام 1925م ،كانت له رحلات داخل الجزائر من أجل العمل وكان ذلك بعد فشله في متابعة دراسته في فرنسا لأسباب مادية فكانت رحلته الأولى إلى:

[1]- عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، مرجع سابق، ص 59-77.

[2]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مصدر سابق، ص 47.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 130-131.

1-رحلته إلى تبسة: عمل مالك في محكمة تبسة متطوعا ،وكان القانون الداخلي للمحكمة يحكم بالتنقل بين القرى والمداشر التابعة لها، كانت فرصة له للتعرف على الريف وطبيعة سكانه عن قرب؛ فكان يشعر بسعادة كبيرة عند المبيت في إحدى هاته القرى بين أفرادها ممّا يجعله يحتك بسكانها ،فالتمس فيهم الطيبة وشاهد الإنسان الجزائري على فطرته المتحلي بالصفات الفاضلة المؤمن بقضاء الله وقدره، والبساطة والتواضع بين الأفراد وذلك في جميع مظاهر الحياة.[1]

2- رحلته إلى أفلو:خيّر مالك بن نبي من طرف النيابة العامة بين ثلاث مناطق فاختار منها منطقة أفلو، التي اعتبرها مدرسة له تعلم وأدرك فيها فضائل الشعب الجزائري، فكانت بالنسبة له رحلة إلى تمبوكتو التي حلم بها، فاكتشف في أهلها الطيبة والكرم وحسن المعاملة، ممّا جعله يتأقلم في فترة إقامته وفرح كثيرا بوجوده فيها، قال في وصفها وهي التي لم تصل إليها أيادي الاستعمار:"في زاوية لم يقتحمها الاستعمار بعد كأنما قد لانت بها البلاد لتضع في جزرها الأمين كنوزا من لطف المعشر والكرم والإخلاص وحب الخير والبراءة."[2]

خشي مالك أن يصل لهذه المنطقة الاستعمار، فكان يحذر أهلها منه وينصحهم بامتلاك الأراضي وزراعتها.[3]

ونجده استاء كثيرا من أفعال الطرق الصوفية التي كانت تستغل جهل الناس الذين يقدمون لها الأموال الطائلة من زكاة وقرابين، وفي عام 1927م لم يكن قد وصل إلى هذه المنطقة صدى الإصلاح الذي كان منتشرا في الشرق الجزائري، فكان مالك أول من أدخل لها جريدة الشهاب التي كانت تصل من المشرق، وعندها أخذ بن نبي قرار الذهاب إلى

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص :161-162-163.

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: 170-171-173.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: 183.

قسنطينة للتحدث إلى العلامة بن باديس حول مشكلة الأرض في أفلو إلا أن اللقاء لم يتّم، فشعر مالك بخيبة أمل في تلك اللحظة، ولكن هذا لم يمنعه من التفكير بكل ما يحيط بالمجتمع الجزائري من أمراض.[1]

3-رحلته إلى شلغوم العيد (شاتودان):إن هذه المنطقة كانت تعتبر مركزا للاستعمار ويخضع سكانها للقوانين الاستعمارية ،فلم يجد مالك في هذه المنطقة ما وجده في المناطق الأخرى من حسن ترحيب ؛فقد كانت الآفات الاجتماعية منتشرة في تلك المنطقة من الخمور ولعب الورق، والحكايات والقصص الخرافية تطغى على سكانها، وبعد فترة توترت علاقته بكاتب المحكمة الذي كان يحتقره ممّا أدى به إلى تقديم استقالته والعودة إلى تبسة.[2]

وبعد ظهور نجم شمال إفريقيا انضم بن نبي إلى العمل السياسي وحضر اجتماعات هذا الحزب وكان يهاجم التدخلات السياسية خاصة فيما يخصّ الجزائر.[3]

ثانيا: رحلاته الخارجية

بعد تحسن الظروف المادية لعائلة مالك بن نبي قرر والده أن يرسله لمتابعة الدراسة فكانت الوجهة نحو:

1- **باريس:** كان مالك بن نبي فضوليا يحب التطلع على العالم الخارجي وثقافته، فكانت أول رحلة له إلى فرنسا عام 1925م برفقة صديقه قاواو، وبعد فشله في متابعة دراسته عاد إلى الجزائر. لكن لم يتراجع عن حلمه بل ظل متمسكا به إلى غاية سبتمبر عام 1930 م حيث تمكن من العودة إلى باريس. فوجد نفسه وسط ثقافة غربية تختلف عن البيئة الإسلامية فبدأ في التأمل في هذا المجتمع والكشف عن كل ما يحمله من جوانب إيجابية

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن ، ص: 180-181-184

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص 190-191-192.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص 245.

وأخرى سلبية، واستطاع أن يزور متحف الفنون والصناعة فرأى الجانب التكنولوجي للحضارة.[1]

وبعد تجولاته الاستطلاعية ،وجد نفسه أمام معهد الدراسات الشرقية فاغتنم الفرصة وسجل فيه، لكنه رُفض كونه جزائريا مسلما وعربيا، ومن هنا بدأ يدرك خفايا المستعمر. وانتسب مالك أثناء وجوده في باريس إلى منظمة سياسية تدعى (الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين)،فكان أول عضو مسلم ينتمي إلى هذه المنظمة، تعرف من خلالها على الثقافة الفرنسية فساهمت في تنمية فكره وإدراك كل المشكلات التي حياته.[2]

بعد أن رُفض من المعهد أشار إليه أحد أصدقائه أن ينتسب إلى مدرسة اللاسلكي لدراسة الهندسية الكهربائية.واستطاع الانخراط في هذه المدرسة برتبة مساعد مهندس ،وفتح له عالم جديد يخضع فيه كل شيء إلى المقياس الدقيق الكم والكيف ورغم انشغاله بدراسته إلا أنه لم ينس مشكلات العالم الإسلامي.[3]

بعد تعايشه في الحي اللاتيني، برفقة طلبة عرب ومنهم دعاة الإصلاح، تعرف في تلك الفترة إلى الطالب (حمودة بن ساعي) الذي كان له نفس التوجه الفكري في النهوض بالشعوب الإسلامية ودور الطلبة في هذه النهضة.وبصحبة حمودة بن ساعي، و بفضل المناقشات ، استطاع أن يطلع على الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع والسياسة والدين.[4]

تعرف بن نبي على فتاة مسيحية تزوجها عام1931م، واعتنقت الإسلام وتسمت باسم خديجة.وكانت له السند ليتفرغ للدراسة،وتابع عن كثب الحركة الوطنية الإصلاحية في

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص: 203-204.

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: -209-211.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: 218.

[4]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: 235-236-237.

الجزائر، وبدأ يلقي محاضرات كان له صدى واسع في وسط الطلاب وكانت أول محاضرة ألقاها بعنوان(لماذا نحن مسلمون)، وبدأ نشاطه يلفت إليه المستعمر الذي كان سببا في توقيف والده من العمل.[1]

وبعد عودته إلى الجزائر فوجئ بالتغيير الحاصل بين أفراد المجتمع وأدرك حينها بأنّ حركة الإصلاح للشيخ ابن باديس والشيخ العقبي كان لها أثر في الوعي بالجزائر،وأيقن أنّها أحدثت تغييرات جذرية لا محالة لم يكن يتصورها ، ولم تكن لتتصورها في ذلك الحين الإدارة الاستعمارية.[2]

وظل متنقلا بين الجزائر وفرنسا لاستكمال الدراسة وتخرج في عام1935م مهندسا كهربائيا ولكن حرم من استلام شهادته، وسعت فرنسا في إغلاق كل سبل العيش في وجهه ووجه عائلته حيث أصبح العمل بالنسبة له حلما صعب المنال.[3]

2-**رحلته إلى مصر**:رحل مالك بن نبي إلى مصر سنة 1956 م ،وهناك بدأ اتصاله بالعالم الإسلامي وبرجال الثورة الجزائرية – حيث كانت القاهرة مركزا لهم - ووضع نفسه تحت تصرفهم . وكان يود الالتحاق بالثورة كممرض وليتمكن من تدوين تاريخ الثورة المجيدة عن طريق المشاهدة.[4]

لكنه لم يوفق في ذلك ولم يجد تجاوبا من القيادة الثورية، ولقي الترحيب الكبير من جمال عبد الناصر، الذي كان هو الآخر معجبا بكتابه الفكرة الأفروأسيوية، وعين مستشارا في المؤتمر الإسلامي، و عضوا في مجمع البحوث الإسلامية، واستطاع الاندماج مع

---

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص 235-236-237.

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: 256.

[3]- محمد الأمين المراكشي، مالك بن نبي ومنهجه الاصلاحي ، (جامعة بسكرة، محمد خيضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ). مذكرة ماستر 2017/2016، ص 27.

[4]- مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، 2002، ص 80.

الطلبة والمفكرين المصريين. فكانت القاهرة تمثل قبلة الثقافة لوجود جامع الأزهر فيها. وهذا ما جعله يجيد اللغة العربية وترجم كتاباته باللغة العربية ونشرها، فكان له تأثير على الطلبة؛بحيث استطاع أو يصور مشكلات العالم الإسلامي بشكل دقيق علمي رياضي،فاستيقظت عقول ونبعت أذهان وظهرت حقائق.[1]

واعتبرت الفترة التي عاش فيها مالك بن نبي في مصر من أغنى فترات عطائه الفكري، كان يلقي محاضرات وينتج كتبا ويخوض في المناقشات مع المفكرين ممّا زاده علما وإحاطة بالعالم الإسلامي ومشكلاته.[2]

وفي سنة 1963م، عاد إلى الجزائر وكله أمل أن يساهم في بناء مجتمع متحضر، وعين مديرا عاما للتعليم العالي وتم إنشاء مركز للتوجيه الثقافي، إلا أن ظروفا حالت دون ذلك واستقال من منصبه سنة 1967م. واهتم كثيرا بإنتاجه الفكري وإلقاء المحاضرات .وحين توجه إلى مدينة الأغواط لإلقاء محاضرات،اشتد عليه مرضه.فسافر إلى فرنسا للمعالجة وأجريت له عملية البروستات بسبب مرض السرطان.و توفي رحمه الله تعالى في الجزائر العاصمة عام 31 أكتوبر1973م، تاركا وراءه آثارا عظيمة من الكتب والمؤلفات التي تعالج مشاكل المجتمع الإسلامي.[3]

المطلب الثالث: تكوينه وإنتاجه الفكري

إن البناء الفكري لمالك بن نبي لم يبدأ من فراغ بل ساهمت في تكوينه عدة عوامل ومصادر كان لها دور كبير في بناء شخصيته الفذة، ومن بين هذه المصادر نذكر منها:

أولا: تأثير الأسرة و الزوجة

[1]- عبد الله بن محمد العويسي، مالك بن نبي، حياته وفكره، مرجع سابق، ص 24-125.

[2]- محمد الأمين المراكشي، مالك بن نبي ومنهجه الإصلاحي، ص 29.

[3]- المرجع نفسه، ص 29-30.

1-أسرته المحافظة: نشأ مالك بن نبي وسط أسرة فقيرة متدينة ومحافظة على الأخلاق الإسلامية .كانت أمة حريصة على إلحاقه بحلقات تحفيظ القرآن ممّا تركت فيه الصفات الحسنة منذ الصغر وحب لشخصيته الإسلامية .و كان لجدته زليخة دور هام في تكوينه الفكري فقد كانت مدرسته الأولى، تعلم من قصصها الحكم والعبر والأخلاق الفاضلة.[1]

2- زوجته خديجة: وهي فرنسية الأصل كشف لعقل مالك بن نبي البعد الحضاري للمجتمع الغربي وثقافته ،وذلك بسبب ما كان يراه منها من تفنن في التنظيم وترتيب البيت وهذا أفضى بعدا جماليا علىأعين مالك بن نبي و فكره.[2]

ثانيا: التنوع الثقافي العربي والغربي

تلقى بن نبي في وسط المدرسة تكوينا علميا وأدبيا معتبرا، درس التوحيد على يد شيخه، (مولود بن موهوب)، والفقه والسيرة على يد الشيخ (بن عابد)، كما تلقى أسس الثقافة العربية على يد الشيخ (عبد المجيد). فكان مالك بن نبي محبا للكتب والمطالعة ،قرأ الكثير من الكتب في علم النفس والاجتماع والأدب، قرأ رسالة التوحيد لمحمد عبده ومقدمة ابن خلدون.[3]تأثر كثيرا بالفكر الإصلاحي للشيخ عبد الحميد بن باديس وكان دائم الاطلاع على المجلات .وتلقى التعليم أيضا من المدرسة الفرنسية بالجزائر حيث تعرف على المنهج الديكارتي العقلاني.[4]

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص: 19.

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: 236.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 65-66.

[4]- محمد أمين المراكشي، مالك بن نبي ومنهجه الإصلاحي، مرجع سابق، 2017/2016، ص 32.

وعندما هاجر إلى فرنسا احتك بالعديد من الطلاب الأوروبيين من دول مختلفة ممّا ولدّ له تنوعا ثقافيا، قرأ للمؤرخ البريطاني **توينبي**[1] كما قرأ للفيلسوف **نيتشه**[2] وغيرهم من المشاهير في أوروبا واطلع على كتب المستشرقين عن الإسلام وبهذا نجد مالك بن نبي قد تحلى بثقافة واسعة و منهجية استطاع بواسطتها أن يطلع على أهم قضايا العالم.

ثالثا: عطاءه الفكري وآثاره

لقد ترك مالك بن نبي عدة مؤلفات ركزت على إبراز مشكلات(العالم المتخلف) بما في ذلك العالم الإسلامي والدول المستعمرة ؛فقام بدراسة تحليلية معمقة وممنهجة و اتخذ من حاله بلاده نموذجا ،ووضع كتبه جميعها في سلسلة تحت عنوان (مشكلات الحضارة) أولا وقبل كل شيء.[3]

ونذكر آثاره تبعا لتاريخ الإصدار والنشر:

1. الظاهرة القرآنية كان أول كتاب له، صدر بتاريخ1946 بالجزائر باللغة الفرنسية،ترجمه عبد الصبور شاهين، ط1 1981م، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق
2. لبيك (الرواية) صدر سنة 1947 بالجزائر باللغة الفرنسية وهي رواية فلسفية، ترجمه زيدان خويلف دار الفكر دمشق 2009م

[1]- هو مؤرخ وفيلسوف انجيلي ولد في لندن سنة 1889م وتوفي عام 1665م من أهم اعماله دراسة التاريخ ويعتبر من أشهر المؤرخين في القرن العشرين جوج طرابيشي معجم الفلاسفة ص246

[2]-هو فيلسوف ألماني ولد سنة 1844 كان استاذ أصول اللغات في بال عام 1869م تأثر بفلسفة شوبنهور توفي سنة 1900 من مؤلفاته هكذا تكلم زرادشت معجم الفلاسفة ص677 .

[3]- لويزة لعميري، نظرية الثقافية عند مالك بن نبي، دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، جامعة ملود معمري، تيزي وزو، 2014، ص 17.

3. شروط النهضة صدر سنة 1948 في الجزائر باللغة الفرنسية، ترجمة عمر كمال مسقاوي وعبد الصبور شاهين اشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، تصوير 1406هـ-1986م
4. وجهة العالم الإسلامي صدر سنة 1954م بباريس، ترجمة عبد الصبور شهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، ط1 1986م، دار الفكر دمشق.
5. الفكرة الآفروأسيوية صدر بمناسبة انعقاد مؤتمر باندونغ سنة 1956م باللغة الفرنسية ترجمه عبد الصبور شاهين إعداد ندوة مالك بن نبي ط1: 1981م، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان دار الفكر دمشق سورية.
6. النجدة الشعب الجزائري يباد سنة 1956م بالقاهرة باللغة الفرنسية،
7. فكرة كومنولث إسلامي هو عبارة عن مخطوط كتبه مالك بن نبي باللغة الفرنسية ثم ترجم بعد ذلك إلى العربية بواسطة الأستاذ طيب الشريف صدر سنة 1958م بالقاهرة ط1: 1960م، دار الفكر لبنان، بيروت - دار الفكر دمشق سورية .
8. مشكلة الثقافة صدر بتاريخ 1959م باللغة الفرنسية، ترجمه عبد الصبور شاهين ط4 1984م، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق
9. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، أصدره سنة 1960م إصدار ندوة مالك بن نبي ترجمة الأستاذ عمر مسقاوي، طرابلس لبنان 1981م، دار الفكر دمشق
10. مذكرات مالك بن نبي العفن الجزء الأول(1932م-1940)، ترجمة نور الدين خندودي، تقديم د أحمد بن نعمان، تصدير بقلم عبد الرحمن بن عمارة اللغة الأصلية الفرنسية العنوان الأصلي pourritures Mémoires tom1(1932-1940)، ط1 2007م، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع برج الكيفان الجزائر.
11. حديث في البناء الجديد هو مجموعة من المحاضرات اصدر سنة 1960م ببيروت وألحق بكتاب تأملات سنة 1961م.

12. تاملات في المجتمع العربي،هو عبارة عن خمس محاضرات مترجمة من الفرنسية إلى العربية اصدر سنة 1961م بالقاهرة اشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق ط1 1979
13. في مهب المعركة ارهاصات الثورة، هو مجموعة من المقالات كتبها باللغة الفرنسية ثم ترجمها إلى العربية حينما لجأ إلى القاهرة أصدر سنة 1962م.ط3: 1981م. دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق اصدار ندوة مالك بن نبي.
14. آفاق جزائرية صدر 1964م ويتضمن ثلاث محاضرات مترجمة من الفرنسية إلى العربية ألقاها في الجزائر ترجمه الأستاذ طيب شريف.
15. القضايا الكبرى، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق ط1 1991م
16. مذكرات شاهد القرن"الطفل" صدر سنة 1965م في الجزائر ترجمه مروان القنواتي. ط1 1969م باشراف ندوة مالك بن نبي، ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق
17. مفاهيم إسلامية إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الحديث، صدر سنة 1968م ط1، 1969م، دار الإرشاد بيروت
18. ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية الجزء الاول ترجمة عبد الصبور شاهين اصدار ندوة مالك بن نبي، وهي دراسة لم يتمها المؤلف لكنه يستق في بحث متكامل عن شبكة العلاقات الاجتماعية ط1: 1962م طرابلس – لبنان.
19. الإسلام والديمقراطية 1968م
20. مذكرات شاهد القرن "الطالب" صدر سنة 1970 ط1 1970م بإشراف ندوة مالك بن نبي، ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق

21. دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين عبارة عن محاضرات ألقيت سنة 1972م بدمشق. طبع بإذن من دار الفكر دمشق، مع الملكية للإعلام والنشر والتوزيع دار الفكر - دمشق، دار الفكر -.
22. بين الرشاد والتيه، أصدر سنة 1972م، ط1 1978م بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق.
23. المسلم في عالم الاقتصاد أصدر سنة 1972 باللغة العربية في بيروت ط3: 1987م بإشراف ندوة مالك بن نبي دار الفكر دمشق سورية دار الفكر المعاصر بيروت لبنان.
24. من أجل التغيير موضوعه: مشكلات الحضارة، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق ط1 1995م
25. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ترجمة دكتور بسام بركة و الدكتور أحمد شعبو إشراف وتقديم عمر مسقاوي دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق ط1 1988م

ولمالك بن نبي آثار لم تطبع وهي في صورة مخطوطات مثل خطاب مفتوح لخروتشوف وإيزنهاور، دولة مجتمع إسلامي، العلاقات الاجتماعية، أثر الدين فيها، المشكلة اليهودية، اليهود أم النصرانية، دراسة حول النصرانية، مجالس دمشق(مجموعة محاضرات باللغة العربية)، مجالس التفكير محاضرات كان يلقيها في منزله بالجزائر.[1]

وفي ختام هذا الفصل: يمكن أن نقول أن حياة مالك بن نبي انقسمت إلى مرحلتين مرحلة طلب العلم والتكوين الذاتي، ومرحلة الإنتاج الفكري الذي مس جميع جوانب الحياة، حيث قام بطرح المشاكل المنتشرة في العالم الإسلامي وحاول معالجتها بطريقة علمية.

[1]- ياسمينة كتفي، التحولات الاجتماعية في نظر مالك بن نبي، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية المجلد 9 العدد 1 2019م ص 77 -94 تاريخ النشر 12-6-2019م جامعة محمد بوضياف المسيلة.

وقد حاولنا أن نبرز شخصية هذا المفكر وصفاته في جوانبها المعرفية والخلقية والعملية من خلال عدّ أعماله ومواقفه وثقافته التي كانت خليطا من تأثره بحركة الإصلاح وتأملاته في الأحداث التاريخية للعالم الإسلامي، و ملاحظاته للحضارة الغربية و اطلاعه على ثقافتها . وقد تشرب أفكاره الدينية من القرآن الكريم، فأدرك أهمية الفكرة الدينية الإسلامية بالنسبة للإنسان المسلم ؛فباستقرار الدّين في النفوس، يحل مشاكل العالم الإسلامي.

الفصل الأول: دوافع مالك بن نبي و أهدافه من دراسة ظاهرة الوحي

المبحث الأول: دوافع مالك بن نبي من دراسة ظاهرة الوحي

المطلب الأول: التطور الثقافي في العالم الإسلامي

المطلب الثاني: تأثير الدراسات الاستشراقية على الفكر الديني لدى الشباب الجامعي

المطلب الثالث: تأثير المنهج الديكارتي على فكر الشباب المسلم

المبحث الثاني: أهداف مالك بن نبي من دراسة ظاهرة الوحي

المطلب الأول: تمكين الشباب المسلم من فرصة التأمل الناضج في الدين

المطلب الثاني : اقتراح إصلاح مناسب للمنهج القديم في تفسير القرآن

تمهيد :إن التطور الذي شهده العالم في مختلف ميادين الحياة وما رتبه الغرب من انتقادات اتجاه دين الإسلام أثر على فكر الفرد المسلم الذي أصبح يرى أن الدين هو سبب من أسباب ضعفه، فتكونت في نفسه أنه مقيد بأغلال هذا الدين، و أن الدين هو سبب الركود الذي يعاني منه ، فأدت هذه النظرة إلى تذبذب التفكير لدى الفرد المسلم اتجاه دينه واتجاه عقيدته.

أراد مالك بن نبي من خلال دراسته للوحي أن يرد الاعتبار إلى أساس الدين الإسلامي الذي عده بلسم الشفاء لكل ما أصاب المسلم من ركود في شتى مجالات الحياة ، والذي أراد من خلاله أن يكون المسلم صاحب السيادة من خلال ما خصه الله به، وهو جعل الرسالة الخاتمة بين يديه .

ومن أهم الأهداف والدوافع التي ساقها مالك بن نبي خلال دراسته هذه هي إعلاء شأن الوحي ودفع المسلم إلى الاعتناء بالهبة التي منحه الله إياها، وهذا ما سنتعرف عليه فيما يلي:

المبحث الأول: دوافع مالك بن نبي من دراسة ظاهرة الوحي

تمهيد : استهل مالك بن نبي دراسته للظاهرة القرآنية بمدخل فصّل فيه محنة العقل الحديث في العالم الإسلامي، بين من خلاله افتتان العقل المسلم بالتقدم العلمي الذي أحرزه الغرب، ودور المستشرقين في التمهيد لهذا الانبهار، الذي كان من أعظم الأسباب وأبعدها خطراً في العقل الحديث وهو بهذا يريد أن يدرك الظاهرة القرآنية إدراكاً يرضى عنه، ويطمئن إليه.[1]

المطلب الأول:التطور الثقافي في العالم الإسلامي

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط13، 1436هـ-2015م دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق ص:53

يعتبر مالك بن نبي الثقافة أداة من أدواة التغيير والإصلاح، إذ يعدها سلوكا حضاريا له تاريخ عميق،[1] فيعرفها بأنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية الذي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه. والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته.[2] فلا يمكن أن نتصور تاريخا بلا ثقافة فالشعب الذي يفقد ثقافته حتما يفقد تاريخه، فالثقافة هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة.[3]

أدرك مالك بن نبي مدى الخطورة التي يمر بها العالم الإسلامي، خلال التطور الثقافي والاجتماعي الذي شهده هذا العالم في مرحلة النهضة، وذلك بسبب الاتصالات الخارجية والحملات الاستعمارية التي شهدها هذا العالم يقول: "ينبغي أن ندرك أن التطور الثقافي في العالم الإسلامي يمر بمرحلة خطيرة إذ تتلقى النهضة الإسلامية أفكارها واتجاهاتها الفنية عن الثقافة الغربية."[4]

تفطن مالك لتغلغل الثقافة الغربية في نفوس المسلمين وأدرك أثر الفساد الذي رتبته الثقافة الغربية على الفرد المسلم، حيث أصبح فكره رهينة ما تصدره تلك الحضارة، يقول مالك بن نبي:" ورثنا من هذا الاتصال بحكم القانون الذي يفرض على المغلوب عادات وتقاليد الغالب ورثنا المقاييس المرتبطة بحياة العالم الغربي وهكذا رأينا هذه الأشياء مسلمات

[1]- بوعزة صالح، قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد وإصلاح المجتمعات العربية في ظل العولمة الثقافية، وحدة بحث تنمية الموارد البشرية،جامعة محمد لامين دباغين، سطيف2

[2]-مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كمال مسقاوي، ط1406هـ - 1986م،دار الفكر دمشق ، ص:83.

[3]-مالك بن نبي، تأملات،ط2، 1423هـ-2002م، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر المعاصر دمشق، سورية ص:76

[4]-مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:54

يقتدي بها فكرنا ويهتدي بها اجتهادنا ويستدل بها منطقنا أصبحنا نسّلم بها خضوعا لمسايرة العرف الذي فرضته علينا الحضارة الغربية."[1]

بلغ تأثير الغربيين في نفوس المسلمين مبلغه فكما كان لهم التأثير على الجانب الفكري، كانت قوة تأثيرهم في مس الجانب النفسي والروحي للفرد المسلم من أسمى غاياتهم، فـ:"هذه الأفكار الفنية لا تقتصر على أشياء الحياة الفكرية الجديدة التي يتعودها الشباب المسلم شيئا فشيئا بل إنها تمس أيضا وبطريقة غامضة ما يتصل بالفكر وما يتصل بالنفس."[2]

لم يكن مالك بن نبي ضد تواصل الثقافات، لكن أراد أن ينبه المسلمين إلى خطورة التأثر بالثقافات الأخرى وخاصة فيما يتصل بالمعتقدات الدينية، ففي مناقشته للفكرة الأفروسيوية يرى أن التبادل ضروري.[3]

لكن من الضروري أن يكون التبادل ذا اتفاق محكم بعيد عن التلفيق والاصطناع " فإذا ما حاولنا المزاوجة في أساس هذه الفكرة بين الإسلام والهندوسية فإن الأمر لن يكون محاولة للتلفيق بل لابد من ميثاق أخلاقي بينهم ليتخذوا وجهة دولية واحدة."[4]

فهو يرى أنه لابد من علاقات عالمية بين المسلم وغيره:"نحن مضطرون إلى أن نطرح مشكلاتنا بمنطق البقاء حتى نستطيع أن نتقدم بعض الخطوات، حتى نستطيع أن نرفع مستوانا إلى مستوى الحضارة، وهنا يفرض علينا طبعا هذه العلاقات الثلاثية المتناقضة العلاقة الثقافية، العلاقة النفسية، العلاقة السياسية إذ يجب علينا أن نصفي هذه الخريطة

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:65

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص:54

[3]- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط5 ،1420هـ-2000م، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر المعاصر دمشق سورية،ص:101

[4]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: 105

للعلاقات العالمية حتى يتسنى لهذه الإنسانية أن ترفع مستواها إلى مستوى القداسة أن ترفع مستواها الواقعي ومستواها الثقافي."[1]

نبه مالك بن نبي المسلم إلى قيمة دينه وعقيدته وأنها ليست من الأسباب التي تعيقه بل هي مصدر طاقته، فيرى أن المسلم -حتى مسلم ما بعد الموحدين -لم يتخل مطلقا عن عقيدته فلقد ظل مؤمنا متدينا ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي فمشكلتنا في رأيه ليست أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ما هي أن نشعره بوجوده ونملأ به نفسه باعتباره مصدرا للطاقة.[2]

المطلب الثاني: تأثير الدراسات الاستشراقية على الفكر الديني لدى الشباب الجامعي

يوجد تعريفات كثيرة توضح مفهوم الاستشراق، هذا المفهوم الذي تعددت عبارات المفكرين والكتاب في بيان معناه وعرفه غير واحد من الباحثين،منهم عرب ومنهم مستشرقون.

فمن هذه التعريفات أنه ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه، وآدابه، ولغاته، ثقافته.[3]وهناك من قال أنه ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب.[4]

[1]- مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ط1 ،1412هـ-1991م دار الفكر الجزائر ودار الفكر دمشق، ص:58

[2]- مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي،ترجمة عبد الصبور شاهين، ط2 1423هـ-2002م، دار الفكر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية ،ص:54

[3]- الأمين عبد الله محمد، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997م، ص:16

[4]- الحاج ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م، ص:20 .

وحدد المستشرق **ميكائيل انجلو جويدي**[1] معنى العلوم الشرقية أو الاستشراق في محاضرة له فقال :" ليس صاحب علم الشرق أو المستشرق الجدير بهذا اللقب الذي يقتصر على معرفة بعض اللغات أو يستطيع أن يصف غرائب عادات بعض الشعوب بل إنه هو من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق وبين الوقوف على القوة الروحية والأدبية الكبيرة التي أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية ، هو من تعاطي درس الحضارات القديمة ومن أمكنه أن يقدر شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن في القرون الوسطى مثلا أو في النهضة الحديثة."[2]

بينما عندمالك بن نبي:"نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية."[3]

يعتبر الاستشراق مقدمة أساسية للاستعمار الأوربي كما أنه سبب لتوهين قوة الإسلام وبثّ الصراع الفكري في فئة شبابها ولعل أكثر وسيلة سهلت هذا، هي البحوث والدراسات التي قدمها المستشرقون عن الإسلام. ومن طرق توهين قوة الإسلام ما ذكره مالك بن نبي: "تقدمت السيدة وقدمت كتابها شمس الله تشرق على الغرب وفيه ما فيه من مدح وتمجيد الحضارة الإسلامية، تقدمت وقدمت كتابها إلى المؤتمر فانتقل على الفور بروحه من مجال المشكلات الحادة القائمة، إلى أبهة وأمجاد الماضي الخلاب."[4]

---

[1]- ميكائيل انجلو جويدي:ولد 19مارس 1886م في مدينة روما التحق بجامعة روما 1904م تخصص في الدرسات الكلاسكسية اليونانية واللاتينية تفيا عام 1946م. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملاين بيروت.

[2]- نذير حمدان، الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين،مطبوعات رابطة العالم الاسلامي، دعوة الحق سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربي، ص:8

[3]- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين، ط1 ،1388هـ-1969م، دار الإرشاد ، بيروت، ص:5

[4]- مالك بن نبي، انتاج المستشرقين، ص:17

فهنا يظهر التلاعب بتفكير المسلم وشغله عن الظروف الصعبة التي تحيط به ونقله إلى الافتخار بالماضي الذي لم يكن من صنعه، ويضرب مثلا آخر بالأب **لامنس**[1]: "لم يكن الأب **لامنس** المثل الفريد للمستشرق الطاعن على الإسلام ورجاله، الحالة الوحيدة التي يمكن أن نلحظ فيها العمل الصامت لتقويض دعائم الإسلام فقد كان لهذا الرجل الشاطر على الأقل فضل في الكشف عن بغضه الشديد للقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم".[2]

هكذا تظهر دائما دراسات المستشرقين، أحيانا بصورة المادح للمسلمين وأحيانا أخرى بصورة القادح المفند، حيث تظهر في كتاباتهم صور الازدراء بمقومات الحضارة الإسلامية، يقول مالك بن نبي:" فما جنيناه من هذه الدراسات إبقاء الضمير الإسلامي في دوامة صراعه الباطني يسكنه أحيانا ما يكتبه المادحون ويثيره أحيانا أخرى ما ينتجه المفندون فهكذا يكون قد استهلك أجدى الطاقات الفكرية في العالم الإسلامي." [3]

ولعل أغلب الدراسات الاستشراقية عن الدين الإسلامي تناولت رسالة المسلم لا دينه:"فالمهم في الأمر اليوم أن نلاحظ أن الشكوك التي تسربت إلى عقول الآخرين إنما تناولت رسالة المسلم لا عقيدته."[4]

إضافة إلى ذلك فقد أدى النشاط الاستشراقي المتمثل بترجمة القرآن إلى اللغات الأوروبية إلى تعريف الباحث والقارئ الغربي لمضمون القرآن، ولعل هذا التعريف قد أثار في الفكر الاستشراقي مايخص القرآن وعلومه، ولذلك ظهرت في العصر الحديث مجموعة من

---

[1]- لامنس: ولد في مدينة بلجيكا سنة 1862م وهو راهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام انتقل إلى بيروت في صباه وتعلم في الكلية اليسوعية في بيروت عمل على ادارة مجلة المشرق ورتكز انتاجه حول موضوعين رئيسيين السيرة النبوية بداية الخلافة الأموية توفي في 23أفريل 1973م . نجيب العقيقي، المستشرقون ط3، دار المعارف، مصر 1964م. ص: 503

[2]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:56

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:24

[4] - مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ص:52

الدراسات الاستشراقية المهتمة سلطت الضوء على هذه التساؤلات وحالت أن تبحث لها عن إجابات.[1]

فمثلا عندما يعلن الاستشراق أنه لا نصيب للعرب في تشييد صرح العلوم ، ربما يؤدى بنا هذا الموقف المتطرف إلى تلاقيه بسطحية نشاهد أثرها في إنتاج بعض المفسرين مثل طنطاوي جوهري، وهو التفسير الذي حوّل القرآن إلى مادة للعلوم، فالقرآن يوجد فيه المناخ العقلي والنفسي للروح العلمية وليس هو كتاب جغرافيا أو فلك أو أحياء.[2]

يرى مالك بن نبي أن الدراسات الحديثة تسير وفق ما يسمى بالمنطق العملي و يتساءل: هل الإنسان الذي يستمع إلى المسلم وهو يتحدث عن رسالته، هل تفحص أو راجع أمر القرآن من حيث هو فكرة صحيحة؟[3]

يدافع مالك بن نبي عن قداسة القرآن وتوضيح سمو ما يحويه فيقول:" أن القرآن الكريم لم يأت قطعا وبصورة مباشرة لا بالحساب العشري ولا بالجبر، ولكنه أتى بالمناخ العقلي الجديد الذي يتيح للعلم أن يتطور كما تطور بالنسبة لمرحلته السابقة في العهد الإغريقي والروماني والأمر الجدير بالملاحظة ،هو أن العلم لا يناط بالمعطيات العلمية فحسب بل بكل الظروف النفسية والاجتماعية التي تتكون في مناخ معين."[4]

وأخيرا يجب الإشارة إلى الطرق التي انتهجها المستشرقون للتعرف على العالم الإسلامي والتي سهلت عليهم استغلاله، فقد استخدموا الكتاب والمقال في المجالات العلمية وكرسي التدريس في الجامعة والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة، فكانت هذه من أكبر دعائمه للاستعمار في مصر والشرق الإسلامي، و غاية كبرى في توهين القيم الإسلامية

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص:52

[2]- محمد العبدة، قراءة في فكر مالك بن نبي، مجلة البيان ، العدد [23] 29 جمادى الأولى 1410 ، ديسمبر1989 ملتقى أهل الحديث.

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق ، ص:52

[4]- مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ص:28بتصرف

والغض من اللغة العربية الفصحى، وتقطيع أواصر القربى للشعوب الإسلامية والازدراء بها في المجالات الدولية العالمية[1]. ولا ننسى ما قدمه المسلمون لهم بتزويد مكتباتهم برسائل الدكتوراه التي يسهر على إنجازها الشباب المسلم وإدراج الغربيين كأعضاء في الجامعات العربية الإسلامية، فمن خلال هذا أوغل المستشرقون في الحياة العقلية في البلاد الإسلامية.[2]

وبالتالي يتبين لنا أن الإنتاج الاستشراقي بنوعيه كان شرا على المجتمع الإسلامي ؛لأنه ركب في التطور العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح والاطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر وأغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التفنيد والإقلال من شأننا بحيث صيرتنا حماة الضيم عن مجتمع ما بعد الموحدين.[3]

المطلب الثالث : تأثير المنهج الديكارتي على فكر الشباب المسلم

يرى مالك بن نبي أنه من الخطأ أن يسير الإنسان وفق المنهج الجديد الذي أسسه الفيلسوف الفرنسي **ديكارت**[4]،الذي يعمل على ما هو موجود في الطبيعة والنفي والتشكيك في ما وراء ذلك. ويرى أن ما حققه هذا المنهج من تطور في شتى الميادين وترقية الإنسان وتوفير الأحسن له ،غير كفيل للفطرة الإنسانية التي تحتاج إلى الجانب الروحي المجبولة عليه:"فالحضارة الغربية وإن كانت تمثل اليوم أرقى ما وصل إليه الإنسان من رفاهية وتطور

[1]- إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، ط1 اغسطس1964م، مكتبة الوعي العربي- الفجالة، ص:40

[2]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:54-55

[3]- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين، ص:25

[4]- ديكارت: ولد رينيه ديكارت في 31 مارس 1596م في قرية لافي في فرنسا درس اللغات القديمة والمنطق والأخلاق والرياضيات والميتافيزيقا وهو صاحب كتاب قواعد لهداية العقل وكتاب رسالة في العالم والمقال في المنهج والتأملات موسوعة المستشرقين عبد الرحمن بدوي

في الحياة المادية إلا أنها لم تحق السعادة الأبدية التي تطلبها الإنسانية وخاصة المعاناة والخوف في الدنيا والآخرة التي تتطلب الموازنة بين الجانبين الروحي والمادي."[1]

تفطن مالك بن نبي لتأثيرات هذا المنهج في النفس الإنسانية وأدرك مدى الخطر الذي ستواجهه الحضارات إذا ما لبثت تسير وفق هذا المنهج، فقد رأى جموعا من المسلمين خاضعين لمنطق **سان توما** الذي يريد أن يلمس كل الأشياء بيده حتى يعترف بوجودها.[2]

فالنزعة المادية البحتة -في تصور مالك بن نبي -اعوجاج في التصور وفهم طائش للحياة وتعكس تدهورا مميتا في حياة الحضارة. لقد انهارت معها القيم الروحية كما تشتتت العلاقات الاجتماعية وكل هذا بسبب طغيان الغريزة المادية،فالمادة مهلكة إذا كانت هي الأول والآخر في تصور الحضارة، وهي أغطية سوداء تحجب رؤية الحق وتدفع إلى التطرف والاغترار الجهول الذي هو باب المتع السريعة الذوبان.[3]

ذكر مالك بن نبي أن الدين الإسلامي لم يكن أبدا خاليا من هذا المنهج، بل على العكس فمنذ نزول القرآن وهو يدفع الإنسان إلى البحث والتدبر وإعمال العقل؛ فالدين الإسلامي وازن في الجمع بين المذهبين المادي والروحي إذ" نرى كل ملامح هذا المجتمع النفسية تتغير منذ نزول اقرأ تغييرا يتولد عنه المناخ العقلي."[4]

نجده في السؤال المذكور في القرآن الكريم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ

---

[1]- فلسفة التغيير قرواز الداودي، فلسفة التغيير عند مالك بن نبي، مجلة العلوم الاجتماعية العدد: 30، 19 ديسمبر2014 م.

[2]- مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ص:54

[3]- عمار توفيق أحمد بدوي، مقومات الحضارة وعوامل أفولها،قدمت هذه الأطروحة استكمالا لدرجة الماجيستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية بإشراف ، د محسن سميح الخالدي، نابلس، فلسطين ،2005م ص:160- 162

[4]-مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين، ص: 36

يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾الزمر: 9فهذه الآية الواردة في صورة سؤال هي اختبار وتركيز في الضمير الإسلامي لقيمة العلم ولفضل رجل العلم على الجاهل في المجتمع الجديد. والعلم ما هو في أبسط معانيه إلا البحث عن الحقيقة في الأخلاق، في التشريع، في الاجتماع ، في الطب في الطبيعة.[1]

من خلال هذا يرى مالك بن نبي أن الدين الإسلامي هو صاحب الريادة لحل مشكلة الحضارات؛ لأن رسالته تحمل موازنة بين المنهجين المادي والروحي اللذين فطرت النفس الإنسانية عليهما:" فهذه الآيات تضع الفكر الإسلامي في طريق العلم وتزوده لاكتساب أحسن التوجيهات المنهجية وغيرها كثير، بحيث يكون القرآن الكريم من هذه الناحية منهجا تربويا جديرا بالدراسة في غير هذا المكان."[2]

فالحضارة التي تطمح للبقاء وتريد الارتقاء هي تلك الحضارة التي تتحكم بنقطة التوازن بين ظلمة الطين وإشراقة النور وهما اللتان كان منهما التكوين والخلق الإنساني، وإن الإغراق في المادة يطمس الإنسان في الظلمات وتطمس معه الحضارة.[3]

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص: 36

[2]- مالك بن نبي،انتاج المستشرقين ، ص:37

[3]- عمار توفيق أحمد بدوي، مقومات الحضارة وعوامل أفولها، مرجع سابق، ص:160

المبحث الثاني : أهداف مالك بن نبي من دراسة ظاهرة الوحي

تمهيد : يذكر مالك بن نبي أن هدفه من هذا الكتاب دراسة الظاهرة القرآنية وفق منهج تحليلي، يبين من خلاله مباينة الظاهرة النبوية للظاهرة القرآنية، ليصل في النهاية إلى أن القرآن من عند الله، وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم، و هو بذلك يرد على دعوى المستشرقين.

المطلب الأول: تمكين الشباب المسلم من فرصة التأمل الناضج في الدين

يرجع بن نبي إلى التاريخ باعتباره السجل الأمين للتحولات التي شهدتها البشرية فيجد التاريخ يشهد أن الدين ثابت من ثوابت الشخصية الإنسانية.[1]

إن الدين الإسلامي حين بزوغه كان ظاهر التأثير على نفوس من حوله ذلك أنه كان يحمل في أساسه ثمرة إصلاح هذا العالم من الجانب العقدي والتشريعي والأخلاقي فسرى الدين على إصلاح هذا الأساس. ويشهد التاريخ أنه أشاع نورا حين كان قائما وثابتا على إصلاح هاته الجوانب، لكن في يومنا الحاضر وفي أيام ولت،أصبح هذا الدين فاقدا لمجتمع يعود به إلى أصوله ويعمل على إحيائه ويسير على أسسه يقول مالك بن نبي:" أول انفصال للعالم الإسلامي في معركة صفين عام 38هـ...منذ هذا الانفصال الأول فقد العالم الإسلامي توازنه الأولي على الرغم من بقاء الفرد المسلم متمسكا في قرار نفسه بعقيدته."[2]

[1]- بدران بن مسعود الحسني ، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، ط1 ،1999 م، دار الكتب القطرية، الدوحة وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية ،ص:96

[2]- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص:29

فأساس بقاء حضارة الدين الإسلامي- كما يقول مالك -كان بفضل ما تبقى من دفعة قرآنية حية قوية في نفوس المسلمين وقد ذكر لنا بعض الشخصيات التي تجسدت فيهم صور الإسلام الفطرية العظيمة أمثال عقبة بن نافع ،عمر بن عبد العزيز، والإمام مالك.[1]

فالعلم يفقد معناه حين يتوقف إشعاع الروح ويخمد إشعاع العقل ؛إذ يفقد الإنسان تعطشه للفهم وإرادته للعمل عندما يفقد الهمة وقوة الإيمان، وما كان لأي معوض زمني أن يقوم خلال التاريخ مقام المنبع الوحيد للطاقة الإنسانية إلا وهو الإيمان، فالإيمان لم يفقد مطلقا سيطرته في العالم الإسلامي حتى في عهود الانحطاط،[2] فالتكملة ذات الصبغة الروحية لا يمكن تصورها في أي تشريع مدني أنها تعطي للرابط الاجتماعي النابع من الفكر الإسلامي طابعا خاصا يجعل وجود ما يسمى بالتناقضات في وسط الجماهير ظاهرة غير قابلة للتفسير في المجتمع الإسلامي.[3]

ويضع بن نبي إنسان ما بعد الموحدين ضمن المشكلات التي أصابت المسلمين ويعده عنصرا لا ينبغي أن يغيب عن أنظارنا عندما ندرس نشأة المشكلات وحلولها[4]، فهو يوجه المسلم دائما إلى سد الفراغ الذي أحدثته العصور التي ولت فيقول:"إذا أراد المسلم أن يقوم بدور الري بالنسبة للشعوب والمجتمع المتحضر وأراد أن يقدم المسوغات الجديدة التي تنتظرها تلك الأرواح التي تتألم لفراغها وحيرتها ، فليرفع من مستواه رفعا يستطيع معه فعلا القيام بهذا الدور، إذ بمقدار ما يرتفع إلى مستوى الحضارة بقدر ما يصبح تعميم ذلك الفضل الذي أعطاه الله أعني دينه ، إذ عندها يصبح قادرا على بلوغ قمم الحقيقة الإسلامية."[5]

---

[1]- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص:30

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص:31-32

[3]- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة د/ بسام بركة وأحمد شعب، ط1423هـ-2002م دارالفكر المعاصر بيروت لبنان –دار الفكر المعاصر ،دمشق سورية ، ص:25

[4]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: 38

[5]- مالك بن نبي، دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين،ص:39

ويضيف أيضا أن على المسلم الذي يريد أن يسد هذا الفراغ في النفوس المتعطشة أن يرفع من مستواه إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها، كي يرفع بذلك الحضارة إلى قداسة الوجود.[1]

فمالك بن نبي يرى أن المشكلة ليست في المصادر الإسلامية بل في فاعلية المسلمين[2]، ذلك: "أننا نرى جانبا كبيرا من اللافاعلية في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث وفي المحاولات الهازلة ولقد يقال أن المجتمع الإسلامي يعيش طبقا لمبادئ القرآن ومع ذلك فمن الأصوب أن نقول إنه يتكلم تبعا لمبادئ القرآن لعدم وجود المنطق العملي في سلوكه."[3]

يجب أن يفكر المسلم كيف يسير في اتجاه التاريخ ، كيف يستغل الظروف السانحة التي تتهيأ له على المحورين :المحورالذي فقد المسوغات التقليدية والذي ينتظر مسوغات جديدة ، والمحور الذي أشير إليه في الآية الكريمة[4]:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨ ﴾الفتح: 28

كما حذر مالك من النزعة القياسية الخطيرة المبنية على فكرة أن الإسلام كامل وطالما هو كامل فالمجتمع الإسلامي هو أيضا كامل. فهو يرى أن الإسلام طريق إبداع في كل مرحلة من حياة مجتمع بقدر ما يقدم من الفهم المضيء بالفهم العميق للآيات القرآنية.[5]

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:44 بتصرف

[2]- عمر بن عيسى، عمر كمال مسقاوي، مالك بن نبي في تاريخ الفكر الإسلامي، ، ط2 ،1431هـ-2010م، دارالفكر دمشق سورية، ص:64

[3]- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ص:34

[4]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:37 بتصرف

[5]- عبد الرحمن بن عمارة، التغيير في نظر مالك،أكتوبر،2011م، موقع الهقار.

وكان من جملة ما قاله أن الدين هو الذي يطلق الشرارة الروحية في النفس الإنسانية ويعمل على إطلاق الطاقات الكامنة فيها وتمثيلها لحظة التوتر التي تحرك هذه الطاقات الخاملة الخامدة وتدفعها إلى الحركة والتأثير والفاعلية.[1]

يرى مالك بن نبي أن قدرة الإسلام على بناء الحضارة قدرة متجددة وأن العالم الإسلامي لن يستعيد حضارته باتباع الشرق أو اتباع الغرب بل إنه لن يستعيداها إلا بالإسلام ،ولكنه يتساءل أي إسلام؟ ثم يجيب قائلا: الإسلام المتحرك في عقولنا وسلوكنا والمنبعث في صورة إسلام اجتماعي وقوة التماسك هذه جديرة بأن تؤلف لنا حضارتنا المنشودة.[2]

لا يستطيع مسلم أو غير المسلم أن يغير ما حوله إن لم يغير ما بنفسه فهذه حقيقة علمية يجب أن نتصورها قانونا إنسانيا وضعه الله عز وجل في القرآن،إذن لكي يتحقق التغيير في محيطنا يجب أن يتحقق أولا في أنفسنا وبذلك تتوفر شروط رسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين وإلا فإن المسلم لن يستطيع إنقاذ نفسه ولا إنقاذ الآخرين.[3]

المطلب الثاني: اقتراح إصلاح مناسب للمنهج القديم في تفسير القرآن

يضع مالك بن نبي منهج التفسير القديم ضمن المشكلات التي يعاني منها عقل الفرد المسلم في الوقت الراهن فيقول:" فالمشكلة بوضعها الراهن إذن تتجاوز نطاق الأدب والتاريخ وتهم مباشرة منهج التفسير القديم كله، ذلك المنهج القائم على الموازنة الأسلوبية معتمدا على الشعر الجاهلي بوصفه حقيقة لا تقبل الجدل."[4]

[1]-عبد الحميد مدكور، أثر العقيدة في بناء الحضارة لدى مالك بن نبي وفتح الله كولن ،11.5.2018 موقع نسمات.

[2]- عبد الحميد مدكور، المرجع نفسه.

[3]-مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص:59 . بتصرف

[4]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:57

يستبعد مالك بن نبي طريقة الموازنة الأسلوبية كالتي قام بها القدماء وكما فعل البقلاني ؛حيث كانت الموازنة تتم بين نصين الأول من القرآن الكريم والثاني نص شعري ،وهو يرى أن الإعجاز قام حتى الآن على البرهان الظاهر على سمو كلام الله فوق كلام البشر. وكان لجوء التفسير إلى الدراسة الأسلوبية لكي يضع لإعجاز القرآن أساسا عقليا ضروريا. ولعل مالك بن نبي يقصد من وراء قوله أساسا عقليا أي أن تلك الدراسة اعتمدت على المنطق وعلم التراكيب والنحو لإثبات إعجاز القرآن وأن الموازنة التي قام بها هؤلاء القدماء ليست سبيلا كافيا لإثبات إعجاز القرآن الكريم.[1]

يذكر مالك بن نبي فرض المستشرق **مارجيليوث**[2] الذي رتّبه على الشعر الجاهلي وما كان من الممكن أن يثيره في المجتمع الإسلامي إذا ما لبث التفسير القديم على حالته، يقول مالك بن نبي: "ولكن يخيّل إلينا أن **مارجيليوث** أراد بفرضه أن يفرض على المشكلة تطورا ثوريا حين أدخل في الوقت المناسب ما يشبه الديناميت الذي قد ينسف كل مناهج التفسير القديم."[3]

فمن هنا يرى بن نبي أن مشكلة التفسير تظلّ خطيرة بالنسبة إلى اعتقاد الفرد الذي شكلته مدرسة ديكارت من جهة وبالنسبة إلى مجموع الأفكار الدارجة التي هي أساس الثقافة الشعبية من جهة أخرى.[4]

---

[1]- حورية قادري، النص والتلقي في الظاهرة القرآنية عند مالك بن نبي، جامعة طاهري محمد بشار الجزائر، مجلد1،العدد:2، ت ن: جوان 2018م، ص:43

[2] درس في أكسفورد الاداب الكلاسيكية اليونانية واللاتينية ثم انتقل إلى دراسات اللغات السامية وعين استاذا في جامعة أكسفورد في 1889م متب بحثا عن أوراق البردي العربية في مكتبة بوردلي في اكسفورد وترجمة قسما لتفسير البيضاوي إلى الانجليزية في 1894م ونشر رسائل أبي العلاء المعري 1898م وفي سنة 1905 بدأ بنشر دراساته عن الإسلام وذلك بكتاب محمد ونشأة الإسلام. عبد الرحمن بدوي موسوعة المستشرقين ص546.

[3]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:57

[4]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:58 بتصرف

ينتقد الأستاذ محمود محمد شاكر رحمه الله مالك بن نبي لولوجه باب تفسير القرآن فيقول:[لا أدري ما الذي ألجأ أخي مالكا إلى ذكر تفسير القرآن ومنهجه القديم في هذا الموضع...؟ إنه إقحام لباب من علوم الإسلام قائم برأسه لا يمسه فرض **مارجيليوث** من قريب أو بعيد .وعلم التفسير كما أسسه القدماء لا يقوم على موازنة الأساليب اعتمادا على شعر الجاهلية أو شعر غير الجاهلية...، وكل ما عند القدماء من ذكر الشعر الجاهلي في تفسيرهم فهو أنهم يستدلون به إلى معنى حرف في القرآن أو بيان خاصة من خصائص التعبير العربي كالتقديم والتأخير والحذف وما إلى ذلك... أما الأمر المرتبط بالشعر الجاهلي، أو بقضايا الشعر جميعا والمتصل بأساليب الجاهلية وغير الجاهلية وأساليب العربية وغير العربية وموازنتها بأسلوب القرآن فهو علم إعجاز القرآن ثم علم البلاغة].[1]

يشكك **مارجيليوث** في صحة الشعر الجاهلي: لو افترضنا أن هذا الأدب صحيح، فكيف حُفظ؟ ثم يجيب على تساؤله بأنه حفظ إما شفاها أي بالرواية الشفهية، وإمّا بالكتابة، ويتفق العلماء العرب أن الشعر الجاهلي حُفِظَ بالرواية الشفهية، لكنه لا يوافق على هذا الرأي؛ لأنه لم يكن هناك أفراد اتخذوا حفظ الأشعار مهنة لهم. ويقول بأنه لم يكن للوثنيين كتاب، وأن القرآن أشار أن الكتاب السماوي قبل نزول القرآن كان لأمتين فقط، اليهودية والمسيحية. ويصل إلى نتيجة مفادها أن الشعر الذي يقال أنه شعر جاهلي جاء في مرحلة تالية للقرآن، وليس في مرحلة سابقة عليه، لأنه مشابه لأسلوب القرآن، وأن القرآن هو أول نص بلغة عربية واحدة.[2]

يقول مالك بن نبي وربما لم يكن فرض **مارجيليوث** ليحتوي على شيء خاص غير عادي لو أنه حين نشر لم يصادف ذلك الترحيب من المجلات المستعربة ومن بعض

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:24

[2]-خالد يونس خالد،التحقق من آراء المستشرق اليهودي البريطاني مارجيليوث في اللغة عربية والشعر الجاهلي،ت ن2008.02.14، مركز النور للدراسات.

الرسالات التي تقدم بها دكاترة عرب محدثون، حتى لقد كسب هذا الفرض قيمة المقياس الثابت في دراسة الدكتور صباغ عن المجاز في القرآن، فقد رفض الاعتراف بالشعر الجاهلي بوصفه حقيقة موضوعية في تاريخ الأدب العربي.[1]

وقد أشار مالك إلى ما ضمنه الدكتور طه حسين في كتابه الشعر الجاهلي حيث يظهر فيه تبعية أفكاره إلى ما أورده **مرجيليوث** في قضية الشعر الجاهلي يقول طه حسين:"إني لا أنكر حياة الجاهلية وإنما أنكر أن يمثلها هذا الشعر الذي يسمونه الشعر الجاهلي فإذا أردت أن أدرس الحياة الجاهلية فلست أسلك لها طريق امرئ القيس والنابغة والأعشى وزهير، لأني لا أثق بما ينسب إليهم."[2]

وقد رد عليه الأستاذ الدكتور الغمراوي قائلا:[فاللغة العربية وان صدقت نظرية الدكتور لن ترزأ بأكثر من تضييع نسب الشعر الجاهلي فيصبح مجهولا نسبه بعد أن كان ينسب إلى شعراء معروفين، أما الشعر ذاته فإن اللغة لن تفقده لأنه في رأي الدكتور إنما هو انتحال الرواة أو اختلاق الأعراب أو صنعة أو تكلف القصاص أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين؛ أقول هذا هو المحال بعينه. فإنه لا يأتي أحد في الدنيا عمل بدون غاية يقصد إليها، وإلى الآن يتعذر علينا أن نفهم الذي لأجله تكلف حماد والأصمعي خلق مئات الألوف من أبيات الشعر وعزوها إلى الشنفري والأعشى وامرئ القيس.][3]

ذكر مالك بن نبي كيف كان إعجاز القرآن في عهد رسول الله عندما كان ينفذ إلى الأرواح بالذوق الفطري ، ثم كيف أصبح في عهد بني أمية والعهد العباسي حيث أصبح علما مستقلا بذاته تدركه طائفة قليلة من المسلمين بيدها وسائل التذوق العلمي ،ثم إلى ما

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية،ص:58

[2]- طه حسين، في الشعر الجاهلي، مكتبة دار الندوة الالكترونية، ص:10

[3]- شكيب أرسلان، الشعر الجاهلي أمنحول أم صحيح النسبة، تحقيق محمد العبدة، ط1 ،1400هـ-1980م، دار الثقافة للجميع دمشق، ص:75

آل إليه في يومنا الحاضر حيث أصبح الإنسان عاجزا على أن يدركه بالذوق الفطري وحتى بالذوق العلمي:" وهاهنا توجهنا مشكلة الإعجاز في صورتها الجديدة بالنسبة إلى هذا المسلم، أعني بالنسبة إلى أغلبية المسلمين المثقفين ثقافة أجنبية بل ربما بالنسبة إلى ذوي الثقافة التقليدية في ظروفهم الثقافية والنفسية الخاصة .لا بد إذن من إعادة النظر في القضية في نطاق الظروف الجديدة التي يمر بها المسلم مع الضروريات التي يواجهها في مجال العقيدة والروح."[1]

يؤكد مالك بن نبي على أن الإعجاز صفة ملازمة للقرآن عبر العصور والأجيال،و يريد من طرحه لمشكلة الإعجاز في وقتنا الراهن ضرورة الاهتمام بالجانب النفسي في الإعجاز القرآني فقد:"أصبح المسلم مضطرا إلى أن يتناول الإعجاز في صورة أخرى وبوسائل أخرى فهو يتناول الآية من جهة تركيبها النفسي الموضوعي أكثر مما يتناولها من ناحية العبارة، فيطبق في دراسة مضمونها طرقا للتحليل الباطن...وإذا كانت هذه الضرورة ملحة بالنسبة إلى المسلم الذي حاول تقعيد عقيدته على أساس إدراك شخصي لقيمة القرآن بوصفه كتابا منزلا، فإنها أكثر إلحاحا لغير الذي يتناول القرآن بوصفه موضوع دراسة أو مطالعة."[2]

و ما يمكن قوله في خلاصة هذا الفصل أن مالك بن نبي كان يستشكل ظاهرة الوحي كمثقف مسلم و يبحث لها عن حل مناسب – في ظل التحديات العلمية والثقافية التي تتوجه من المستشرقين إلى العالم الإسلامي و خاصة إلى الشباب المثقف بثقافة فرنسية .

و قد وجدنا ذلك من خلال الأسباب التاريخية والواقعية التي كانت وراء اهتمام مالك بن نبي بدراسة ظاهرة الوحي المحمدي أو الظاهرة القرآنية و محاولة تحليلها تحليلا خاصا

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:63

[2] - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:67-68

يعبر عن فكر مالك بن نبي و فلسفته في فهم هذا النوع من مشكلات الحضارة .و ذلك ما نحاول التعرف عليه فيما يأتي من فصول البحث بحول الله تعالى .

الفصل الثاني: الدلائل التاريخية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عند مالك بن نبي

المبحث الأول: الظاهرة الدينية ظاهرة تاريخية أصيلة

المطلب الأول: إثبات وجود الله

المطلب الثاني: إثبات وحدانية الله

المبحث الثاني: إثبات الوثيقتين التاريخيتن الأساسيتين للإسلام (القرآن والسنة)

المطلب الأول: القرآن

المطلب الثاني: السنة.

المبحث الثالث: إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قبل العثة

المطلب الأول: دلائل نبوته من طفولته و شبابه

المطلب الثاني :دلائل نبوته بعد زواجه و قبل بعثته

تمهيد: يتناول هذا الفصل الحديث عن طبيعة الظاهرة الدينية لدى مالك بن نبي من الناحية التاريخية ويوضح المذهبين المادي والغيبي في تفسيرها ومبادئها، وهذا العمل هو الإثبات التاريخي الأول و ذلك في المبحث الأول.و يأتي المبحث الثاني يتناول الحديث عن مصادر الإسلام و يبيّن صحتها و هو الدليل التاريخي الثاني. أما المبحث الثالث: فيقدم دلائل تاريخية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته.

المبحث الأول: الظاهرة الدينية ظاهرة تاريخية أصيلة

تمهيد: بيّن مالك بن نبي أن الظاهرة الدينية ظاهرة يثبت التاريخ وجودها أصالة؛ مقارنا بين المذهب الغيبي، الذي يعتبر الدين للإنسان ظاهرة أصلية في طبيعته، ومكون أساس في بناء الحضارة، وبين المذهب المادي الذي يعتبر الدين مجرد عارض تاريخي للثقافة الإنسانية.و تحدث مالك بن نبي عن مبدأ النبوةعبر التاريخ في صورتين وجود الله و توحيد الله .

المطلب الأول: إثبات وجود الله

تتبع مالك بن نبي-رحمه الله تعالى -من خلال الوثائق التاريخية ما يثبت وجود الله ردا على أصحاب النقد الحديث ذوي التفكير المادي، الذين اعتبروا الدين[1]عارضا تاريخيا، يقول مالك بن نبي:"سارت هندسة البناء من كهوف العبادة في العصر الحجري إلى عهد المعابد الفخمة جنبا إلى جنب مع الفكرة الدينية التي طبعت قوانين الإنسان بل علومه كمعبد

[1]- الدين يعني وبشكل متبادل الإيمان، يعرف عادة بأنه الاعتقاد المرتبط بما فوق الطبيعة، المقدس الإلهي ،كما يرتبط بالأخلاق ، الممارسات ، المؤسسات المرتبطة بذلك الاعتقاد وبالمفهوم الواسع، عرفه البعض على أنه المجموع العام التي يفسر علاقة البشر بالكون.مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي ط1 -2009م، دار أسامة للنشر والتوزيع عمان الأردن ص:222.

سليمان[1] أو الكعبة من هناك كانت تشرق هذه الحضارات لكي تنير العالم وتزدهر في جامعاته ومعامله."[2]

فيرى أصحاب المنهج المادي أن الأصل في الموجودات هي المادة،[3] حسب مذهب ديكارت العقلاني الذي أنتج فلسفة تعطي دورا ثانويا للغيب، وليس للخالق إلا دور ابتدائي، ولا شأن له بعد ذلك بتفاصيل الحياة فلا شأن له بعالم الطبيعة وليس له دور إلا إعطاء سند للعقل باعتباره مرتكزا ينطلق منه ليصير هو نفسه أصل كل شيء ومحركه وموجهه،[4] بينما الفكر الغيبي فهو مشتمل على البحث في الأمور الإلهية والمبادئ الكلية والعلل الأولى كما فسره **أرسطو**[5].[6]

صاحب الفكر الغيبي البشرية منذ أصبح الإنسان خليفة في هذه الأرض وسار معه في مختلف الأزمان والعصور، فقد كان الإنسان دائم البحث في الفراغ الذي يحيط به وفي الظواهر الطبيعية التي هي فوق طاقته يقول مالك: "وما التوتمية والأساطير واللاهوت إلا حلولا مقترحة للمشكلة نفسها التي تساور الضمير الإنساني كلما وجد نفسه مأخوذا بلغز الأشياء وغاياتها النهائية."[7]

---

[1]- معبد سليمان: هو الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام بأمر من أبيه داوود يقول ولديورانت يعد بناء الهيكل من أهم الأحداث في ملحمة اليهود فإنه لم يكن بيتا ليهوه فحسب، بل كان مركزا روحيا لليهود. أحمد شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، ط8 -1988 مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ص:201

[2]مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 69

[3]مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، ص:553-

[4]-بدران بن مسعود بن حسن، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي ،ص:134

[5]- ارسطو: ولد ارسطو في اسفاهير وتعرف اليوم باسم ستافرو سنة 3084ق م وتوفي 322ق م كان من نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني زهو احد تلاميذ افلاطون. جورج طراليجي معجم الفلاسفة ط3 دار طبيعة بيروت 2006م.ص 407.

[6]-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط،1982، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، ج2،ص:301

[7]-مالك بن نبي ،الظاهر القرآنية،ص:70

يذكر مالك بن نبي أن تردد المشكلة الغيبية بانتظام على الضمير الإنساني على مر العصور ولدت هي الأخرى مشكلة لدى رواد علم الاجتماع[1] الذين أرادوا حلها حينما وصفوا الإنسان بأنه حيوان ديني فقد نبع من خلال هذا الوصف نظريتان مختلفتان في عصرنا هي، هل الإنسان حيوان ديني بشكل فطري غريزي، أم أنه اكتسب هذه الصفة إثر عارض ثقافي مفاجئ لدى مجموعة بشرية معينة؟

فينتج لنا من خلال هتين النظريتين فكر ديني يؤمن بوجود قوة عالية خالقة موجدة وآخر يعتبر الدين مجرد عارض ثقافي تاريخي، اكتسبه الفكر الإنساني من مجموعة بشرية معينة أثرت على جانبه النفسي، إذ يفترض هذا الأخير أن المادة هي العلة الأولى لذاتها وهي نقطة البدء في ظواهر الطبيعة. [2]

أراد مالك بن نبي أن يوازن بين المذهبين الغيبي والمادي إذ يرى أنهما عاملين أساسين يكمّل إحداهما الآخر ويظهر ذلك من خلال عناصرهما المتجانسة عن فكرتيهما اتجاه الكون والتكوين. وقدّم تحليلا لمسلمات علمية عند المذهب المادي عن التنوع الجزئي، وتكوين الذرة، والتوالد الحيواني، أظهر من خلاله عدم توافق المبدأ المسلم به عن أصل المادة مع النتائج العلمية المتوصل إليها، فمن خلال هذه المسلمات الخاطئة يظهر قصور المذهب المادي.[3]

[1]-علماء الاجتماع وعلماء الإنسان ينظرون إلى الدين على أنه مجموعة مجردة من القيم والمثل والخبرات التي تتطور ضمن المنظومة الثقافية للجماعة البشرية فالدين البدائي كان من الصعب تمييزه بنظرهم عن العادات لاجتماعية الثقافية التي تستقر في المجتمع لتشكل البعد الروحي له.مصطفى حسيبة المعجم الفلسفي، ص223

[2] - مالك بن نبي ،الظاهر القرآنية، ص: 70- 73بتصرف

[3]-مالك بن نبي،المصدر نفسه، ص:72-74-الى 77 بتصرف

إذن فهناك نظام دقيق مفروض عن الكون يتحكم فيه، وهو ليس من المادة لأنها قاصرة عن التحكم في ذاتها وبذلك يظهر سقوط المادية، وهكذا يقرر ابن نبي أنه يوجد نقص يثير عدم التوافق في مبدأ المذهب المادي.[1]

ينتصر مالك بن نبي للضمير الديني الذي يؤمن بإله موجد لهذا الكون وذلك بسبب القصور الملحوظ في بعض الظواهر المادية، ويقول:" من خلال هذا لابد من التسليم بأن خلق المادة ينتج من الأمر القاهر لإرادة عليا تقول لكل شيء وفق كلمة سفر التكوين (كن)."[2]

جاء في سفر التكوين عن خلق العالم ((**في البدء خلق الله السماوات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه وقال الله ليكن نور فكان نور ورأى الله النورأنه حسن وفصل الله بين النور والظلمة.**))[3]

يقول مالك بن نبي من الثابت أن المادة تخضع لمبدأ القصور الذاتي خضوعا تاما، فكل شذوذ يتنافى مع الحتمية المادية المحضة يحتم إعادة النظرة في بناء المذهب كله.[4] و الحتمية هي فرضية فلسفية تقول أن كل حدث في الكون بما في ذلك إدراك الإنسان وتصرفاته خاضعة لتسلسل منطقي سببي محدد سلفا ضمن سلسلة غير منقطعة من الحوادث التي يؤدي بعضها إلى بعض وفق قوانين محددة، يؤمن البعض بأنها قوانين طبيعية ، في حين يؤمن آخرون بأنها قضاء الله وقدره، فيقول أتباع الحتمية أن جميع الحوادث نتيجة

[1]-حسن موسى محمد العقيبي ، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجيستير، الجامعة الإسلامية غزة، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، 1426هـ-2005م، ص: 142

[2] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:80

[3] الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، سفرا التكوين،إعداد وتفسير، مجموعة من الكهنة وخدام الكنيسة،سفر التكوين، الإصحاح الأول (ع1-5)، ص:22

[4] مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:77-78 بتصرف

لأسباب وظروف محددة فهم لا يكتفون برصد الظاهرة بل يفتشون عن أسبابها الأولى والأساسية.[1]

يؤيد مالك بن نبي الضمير الديني الذي يؤمن بإله موجد لهذا الكون، إذ نجد أن الحتمية الغيبة تسعفنا حين تعجز القوانين الطبيعية عن إعطاء تفسير واضح للظواهر، فهنا نجد المذهب الغيبي يرتقي على المذهب المادي ذلك أنه لا يكتفي بربط المطالب الفلسفية مع الأشياء والظواهر ربطا منطقيا فقط، بل نجده يتجاوز حدود المادة إلى مثال أعلى للكمال الروحي، إلى الهدف الأساسي الذي لم تكفّ الحضارة عن الاتجاه نحوه.[2]

كما يعتقد بأصالة الروح، وأن الأبعاد الأصلية في وجود الإنسان لا يمكن توجيهها من خلال القوى المادية فقط، فالقوى النفسية والفكرية والعقائدية يمكن الاستفادة منها في تحريك التاريخ ووعي الجماهير، وهناك حركات اجتماعية في التاريخ، حركها الإيمان والفكر وهما جوهر الإنسانية، والجهد البشري والثورات الإنسانية مظهر للفكر والعقائد والأيديولوجيات.[3]

المطلب الثاني: إثبات وحدانية الله

بعد أن أظهر مالك بن نبي ضعف المذهب المادي وضع فرضا وهو ضرورة وجود قوة عالية خالقة موجدة، يقول من الضروري أن نفرض مبدأ متميزا عن المادة فالله خالق ومدبر وسبب أول ينبثق عنه كل موجود.[4]

[1] مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي،ص:178

[2] -مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:79 بتصرف

[3] - أحمد مسعود، فلسفة التاريخ عند مالك بن نبي، موقع، مالك بن نبي/ثقافتنا - العدد ٢، د ت ن

[4] - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:79 بتصرف

يذكر مالك بن نبي أن المؤلفين المعاصرين يحاولون شرح الظاهرة الدينية في ضوء تاريخي مجرد تبعا لمنهج ديكارت الذي يرجع كل شيء للمادة،[1] كونها القاعدة الفكرية له لأنها إذا تهافتت وسقطت سقط بنائه الفكري كله لأن أفكاره ومفاهيمه مبنية عليها.[2]

و ينتقد تفسيرات هذا المذهب فيقول أن الدراسة الموجزة لا تؤدي إلى فهم الظاهرة الدينية المعقدة لأن لها مظاهر متعددة ومتنوعة تختلف باختلاف البيئات الإنسانية، فتفسير الظاهرة الدينية بناء على هذا المنهج لا يؤدي إلى فهمها. [3]

يورد فرضا آخر تبناه **شوريه** في كتابه كبار الواصلين فسر الظاهرة الدينية على أنها انكشاف دوري للسر الديني، تحفظه صدور بعض أولئك الواصلين يكشفه بعضهم لبعض من جيل إلى جيل، وينتقد مالك بن نبي هذا الفرض قائلا: "**فشوريه** لم يعبأ في نظريته هذه بالتفسير التاريخي للسلسلة التي تربط مثلا حدثين مختلفين تماما كالبوذية والإسلام ولم يعبأ أيضا بأن يعرض علينا في هذه الحالة القاسم المشترك الذي كان من المفروض أن يعكسه ضمير بوذا من ناحية وضمير محمد من ناحية أخرى.[4]

يذكر مالك بن نبي مشكلة أخرى تقف أمام المذاهب التي تشتمل على ربط أحداث متباينة في نطاق واحد كمذهب وحدة الوجود[5] والشرك والوحدانية، فيقول: "وإنه ليبدو حقا أن

---

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: 85 بتصرف

[2]- حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، ص:139

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:85 بتصرف

[4]مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:85

[5]- مذهب وحدة الوجود (الحلولية): هو الإقرار بأن الله والعالم شيء واحد لا غير ويمكن أن يفهم بمعنيين:الله هو الواقع الذي توجد فيه الأشياء وليس العالم شيئا آخر غير تجلياته وأحواله اللاجوهرية وهذا رأي سبينوزا. العالم هو الواقع الوحيد وليس الله غير مجموع الوجود (مذهب ديدرو). جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، 2004م، دار الجنوب للنشر، ص:175

تعقيد الظاهرة الدينية قد أضل الأفكار الديكارتية[1] وأننا مازلنا –بلا شك- مزعزعين أمام المشكلة التي تربط أحداث متباينة، كمذهب وحدة الوجود والشرك والوحدانية في نطاق واحد."[2]

بعد أن أظهر مالك بن نبي بعض التفسيرات للفكرة الدينية، أورد عقيدة ثابتة في الفكرة الدينية هي عقيدة التوحيد التي أثبتها التاريخ منذ أن ظهرت البشرية والتي جاء برهانها الأسمى على ألسنة الأنبياء الذين تتابعوا منذ إبراهيم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول:"وسنبحث هنا واقعا خاصا هو التوحيد الذي قدم لنا برهانه الأسمى على ألسنة الأنبياء وبذلك أصبح فيصلا في مجموع الظاهرة الدينية."[3]

ويدعو أصحاب النقد الحديث إلى البحث في حقيقة هذا الاعتقاد الذي تجلى في تتابع الأنبياء وفي جميع ما يصحبهم من المظاهر الأدبية والروحية: " والواقع أن تتابع ديانات التوحيد دليل يمكن فحصه دائما من الناحية الاعتقادية فحصا يقوم على أساس النقد ويتمثل هذا التتابع في ظهور النبوة وجميع المظاهر الأدبية والروحية التي تصحبها."[4]

[1]- الديكارتية: مذهب عقلي مثالي يقوم على التقابل التام بين المادة والروح، وربط الوجود بالتفكير يرى في الوضوح أساس اليقين ويحاول أن يفسر العالم تفسيرا رياضيا عقليا فوضع دعائم الفلسفة الحديثة التي عارضت فلسفة أرسطو. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، تصدير الهيئة العامة لشؤون المطابع الأمريكية القاهرة ، 1406هـ-1983م، ص:85

[2]- مالك بن نبي، المصدر السابق، ص:86

[3]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:86

[4]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:86

والمناسب للعاقل المنصف أن يتعلم الدين وأصول العقائد بالأدلة المتبنية على اليقينيات وهي الأوليات والمشاهدات والتجريبيات والحدسيات والمتواترات وقضايا قياسها معها وانحصارها في هذه الست بالاستقراء.[1]

" فالتوحيد يهدف من الناحية الميتافيزيقية إلى إثبات وحدانية الله إذ هو العلة الوحيدة التي تدخل في تكوين الظواهر وفي تطويرها وهو الذي يحكمها بما يتصف به من المقدرة المطلقة والبقاء والإرادة والعلم."[2]

المطلب الثالث: إثبات النبوة كظاهرة

جاء في كتاب دلائل النبوة لأبي القاسم إسماعيل أن النبوة سفارة بين الله تبارك وتعالى وبين ذوي الألباب من خلقة لإزاحة عللهم في أمر معادهم ومعاشهم. والنبوة نعمة من الله تبارك وتعالى يمنّ بها على من يشاء من عباده ممن سبق علمه وإرادته الأزليان باصطفائه لها فلا يبلغها أحد بعمله ولا بكشفه ولا يستحقها باستعداد نفس وتهذيبها وتطهيرها من الأوصاف المذمومة.[3]

يؤكد مالك بن نبي أن النبوة ليست حادثة فردية من نوعها في تاريخ الأمم والشعوب بل ظاهرة تتكرر؛ فهي ظاهرة ممتدة من إبراهيم علي السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم يقول مالك بن نبي: ولنا أن نلاحظ وقبل كل شيء أن بعث نبي ما ليس حدثا فردا ليكون غريبا نادرا، بل هو على العكس من ذلك ظاهرة مستمرة تتكرر بانتظام بين قطبين من التاريخ منذ إبراهيم إلى محمد، واستمرار ظاهرة تتكرر بالكيفية نفسها يعد شاهدا علميا يمكن

[1] - فلاح العابدي، الدين والفلسفة وجدلية العلاقة بينهما، ط:1، 1435ه-2013م، سلسلة إصدارات أكاديمية الحكمة، ص:45

[2]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص: 200

[3]- أبو القاسم إسماعيل، دلائل النبوة، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له أبو عبد الرحمن مساعد بني سليمان الراشد الحميد، جزء 1 ، 1412ه، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ص:19

استخدامه لتقرير مبدأ وجودها، بشرط التثبت من صحة هذا الوجود بالوقائع المتفقة مع العقل ومع طبيعة المبدأ.[1]

وما يميز هذه الظاهرة على مدى امتدادها هي المظاهر الأدبية والروحية التي يأتي بها النبي ؛ فالأنبياء لم يولدوا لمهنة، ولم يمروا بفترة للتلمذة ،ولم تكن هناك نقابة للأنبياء ينتسبون إليها ،ولم يتلقوا دراسة من التعاليم اللاهوتية تؤهلهم لذلك، بل كانت رسالة الله هي التي تسيرهم، كما كان الوعد بالتأييد الإلهي ظاهر في كلامهم مثل ما حدث مع أرمياء(ومدّ الرب يده ولمس فمي وقال الرب قد جعلت كلامي في فمك)، كما جعل الله فيهم مواصفات يتميزون بها عن باقي البشر تتمثل في الحالة النفسية للنبي.[2]

فمنذ إبراهيم عليه السلام تتابع هؤلاء الأفراد بقوة لا تقاوم جاؤوا يخاطبون الناس، باسم حقيقة مطلقة يقولون إنهم يعرفونها معرفة شخصية وبوسيلة خاصة هي الوحي.[3]

أقرّ القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية في غير ما سورة على وحدة الغاية التي من أجلها بعث الله جميع الأنبياء، 7 8 ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾النحل: 36و 7 8 ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ ﴾فاطر: 24،و 7 8 ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:87

[2] - أحمد عبد الوهاب، النبوة والأنبياء، في اليهودية والمسيحية والإسلام،ط2، 1413هـ-1992م، مكتبة وهبة -القاهرة، ص:28

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص: 86

وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ ﴾الأنعام:83-86

فالغاية الأسمى للأنبياء تحقيق التوحيد الذي بعث من أجله جميع الأنبياء، وقد بين لنا الدكتور علي مبروك القيم التي يتبلور حولها النسق النبوي في قيم الاختلاف وقيم التماثل ،إذ هناك قيم تتماثل في جميع صور النسق النبوي، فجميع النبوات هي في صميمها محاولة لإعادة الصلة بين الله والإنسان.[1]

وفي مثل هذا العالم الذي نعيش فيه حيث تختزل الفلسفة إلى العقلانية أو إلى اللاعقلانية أكثر فأكثر، وتقضي فيه على الروحانية بل والدين كذلك، والتي عملت على نزع قداسة الوجود؛ فالمحدثون ينكرون أن النبوة لها مهمة تتمثل في إبلاغ رسالة من عالم أو مستوى آخر من الحقيقة؛ إذ لم يعد لهذا العالم أو المستوى وجود، ويعدون أي زعم بوجود هذا العالم هذيانا شخصيا، فهم ينكرون وجود حقيقة متعالية.[2]

ويمكن لنا أن نردّ هذا القول من خلال القاعدة العلمية للفيلسوف **هيجل**[3] التي ذكرها مالك بن نبي، فيقول: "ويؤكد الفيلسوف **هيجل** على أننا إذا وجدنا حالة نبوية خاصة لا تفسر شيئا ولا تُثبته فإن تكرارها في ظل بعض الشروط يبرهن على الوجود العام للظاهرة، بطريقة علمية ويبقى علينا أن نبحث في ماهية هذا التكرار."[4]

---

[1]- نبيل سيساوي، قراءة في كتاب علي مبروك (النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ)، ت ن1 جويلية 2016م، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

[2]- سيد حسين نصر، الفلسفة والنبوة، ترجمة العنود سعد، موقع الحكمة، تاريخ ن 21. 10. 2016.

[3]- هيجل: فيلسوف ألماني ولد في فيشتوتادار 1777م مات بالكوليرا في 1831م كتب تأملات ومقالات وحتى القصائد بعنوان ايلوزلس من مؤلفاته كتابات الشباب حول اللاهوت ومن مقالاته الايمان والعلم، حول المنهج العلمي في القانون الطبيعي. معجم الفلاسفة ص262.

[4]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 87. بتصرف

و معنى ذلك أن حياة كل نبي و تاريخه هي شهادة تاريخية على إثبات النبوة كظاهرة تدرس من قبل الباحثين .و قد اختار مالك بن نبي حالة النبي أرمياء كمثال لإثبات ظاهرة النبوة ، و ذلك من أجل الضمانات التاريخية التي تخول كتابه وتاريخه الشخصي قيمة الحقيقة الموضوعية، فقط جردّ البروفسور **مونتيه** الكتاب المقدس من كل صفات الصحة التاريخية ما عدا كتاب أرمياء.[1]و سنعود إلى هذا الموضوع في الفصل الموالي بحول الله تعالى .

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 88 بتصرف

المبحث الثاني :إثبات الوثيقتين التاريخيتن الأساسيتين للإسلام (القرآن والسنة)

تمهيد : تحدث مالك بن نبي عن مصادر الدين الإسلامي، وقرر أمرين أساسيين:الأول: أن الإسلام هو الدين الوحيد بين جميع الأديان الذي ثبتت مصادره منذ البداية، على الأقل فيما يخص القرآن.والأمر الثاني: أن القرآن خلال تاريخه لم يتعرض لأدنى تحريف أو تبديل، وليست هذه حال العهدين القديم والجديد اللذين تعرضا للتحريف.

المطلب الأول :القرآن

في دراسة نقدية للإسلام لابد أن نخضع فيها الوثائق المدونة والتاريخية للفحص ،ومع ذلك فما ضفر به الإسلام لم تضفر به الديانات الأخرى؛إذ هو الوحيد من بين جميع الديانات الذي ثبتت مصادره وعلى الأقل فيما يخص القرآن فقد امتاز القرآن بميزة فريدة هي أنه انتقل منذ أربعة عشر قرنا دون أن يتعرض لأدنى تحريف أو ريب وليس هذا حال العهد القديم والجديد.[1]

إن الميزة التي تميز بها القرآن جديرة بالملاحظة من وجهة نظر علم الاجتماع وعلم النفس بخصوص الوسط العربي في العصر المحمدي؛ إذ هي نقطة جوهرية تستحق البحث والوقوف عليها، إذ ليست هناك مشكلة تدوين بالنسبة للقرآن كما هو الأمر بالنسبة للكتاب المقدس: فإن للقرآن تاريخه فكلما كان الوحي يتنزل كانت آيات القرآن تثبت في ذاكرة الرسول وصحابته وتسجل فورا بأيادي أمناء الوحي.[2] فقد توافق واقع تاريخ القرآن مع الآية:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾الحجر:9

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 103

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:104

فمنذ تلقاه الرسول بدأت أولى خطواته في دنيا الناس ليأخذ مسيرته وأخذ المسلمون إذ ذاك يرصدون حركته. فمنذ ثلاثا و عشرين عاما لم تغب عنهم شاردة ولا واردة ، حتى يقسم ابن مسعود رضي الله عنه على أنه ما من آية نزلت من كتاب الله إلا وهو أعلم فيمن نزلت: وأين نزلت وسئل عكرمة عن آية من القرآن فقال نزلت: في سفح ذلك الجبل.[1]

يوضح مالك بن نبي طريقة جمع القرآن قائلا:"اختار الخليفة أبو بكر لجنة يرأسها زيد بن ثابت الذي كان أمينا للوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب القرآن منظما ،مع جواز قراءة القرآن مع بعض الاختلافات في اللهجات الشائعة بين عرب الجاهلية ، فلم يسترح عثمان الخليفة لهذا الاختلاف ،وأمر بأن تكتب رواية موحدة فريدة بلغة قريش ،فاختيرت لجنة ثانية وكان على رأسها زيد وأنهت اللجنة عملها عام 25هـ."[2]

جاءت رواية هزيله ذكرها السيوطي في إتقانه عن الزهري عن عبيد بن ثابت قال: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن قد جمع في شيء. وعلى الرغم من الفرق الواضح بين التدوين المجرد والجمع المراد به ضم المتفرق، وهو مايمكن أن تحمل عليه الرواية كما قال الحطابي أي لم يجمع في مصحف انتظارا لبلوغ الوحي تمامه. فإن المستشرقين كلما عثروا على تلك الروايات راحوا يؤكدون من خلالها فكرة عدم تدوين الوحي في حياة النبي، يريدون التشكيك في نص القرآن لأن التسليم بعدم تدوين الوحي ،سيسلم أمره لذاكرة المسلمين وهي مهما كانت قوية لا تستطيع أن تمسك ما فيها لفترة طويلة، وعندئذ يكون شأن القرآن عرضة للتغيير والتبديل شأنه شأن الشعر مثلا.[3]

و يخلص مالك بن نبي إلى نتيجة مفادها: أنه منذ جمع القرآن في عصر عثمان رضي الله عنه ، والقرآن ينتقل من جيل إلى جيل بصورة وحيدة فريدة متعارف عليها من

[1]- إسماعيل أحمد الطحان ،تاريخ القرآن بين تساهل المسلمين وشبهات المستشرقين، دون ط، دون ت ن، ص:267

[2]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:104

[3]- إسماعيل أحمد الطحان، نفس المرجع السابق، ص: 269-270

مراكش إلى حدود منشوريا؛ فهو على هذا الكتاب الديني الوحيد الذي يمتاز بالصحة التي لا جدال فيها لأنه لم يثر النقد الحديث أي مشكلة حوله سواء كان ذلك شكلا أو موضوعا.[1]

المطلب الثاني :السنة

والمصدر الثاني عن الإسلام ينحصر في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومن المؤسف أنه لم يتوفر لهذا المصدر ما توفر للأول من الصحة التاريخية؛ فإن الأحاديث لم تحفظ بالعناية المنهجية التي ظفر بها القرآن فالرسول صلى الله عليه وسلم منع أن يكتب الصحابة أقواله في حياته ولم تظهر أهمية الحديث إلا بعد وفاته. [2]

أنكر المستشرقون كون السنة مصدرا للتشريع في صدر الإسلام ، فقد زعموا أن الحديث كان يروى من أجل التسلية وملء أوقات الفراغ والتأثير في المسلمين الجدد ، وأوردوا شبهات حول بداية تدوين السنة من الزهري وذلك للتشكيك في مصداقية السنة فكانت بين قبول ورد، مثل **وليام موير**[3] الذي تبنى قبول تدوين الزهري بينما رد هذا القول **ألفرد جليوم** ، في حين يميل **شبرنج** إلى القول بوجود كتابة الحديث في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.[4] كما زعموا أن إتباع المسلمين لسنة النبي صلى الله عليه وسلم مرده إلى إتباع عادة الآباء في الجاهلية.[5]

---

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:105 بتصرف

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: 106

[3]-وليام موير: مستشرق ومبشر وموضف اداري انجليزي ولد في جلاس جو في 27 أفريل1819م اشتغل ف الادارة المدنية في شرعة الهند الشرقية من مؤلفاته شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية ونشر عدة مقالات تناول فيها تاريخ الهعرب قبل الإسلام موسوعة المستشرقين عبد الرحمن ص578م.

[4]- فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني، مدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث،كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ،1433،ص:112

[5]- خالد بن عبد الله القاسم ،مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإنسانية (الاستشراقية) ط1، 1431هـ-2010م، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية،ص:561

ومنهم من يرى أن السنة لم تكن مصدرا للتشريع في صدر الإسلام وإنما اضطر إلى اعتمادها مصدرا تشريعيا في وقت متأخر، ويمثل بعض المستشرقين لذلك بعصر الإمام الشافعي رحمه الله (105هـ-204هـ) الذي دعم القول بحجية السنة.[1]

ففي هذا السياق يورد مالك بن نبي أن فكرة السنة مصدرا ثانيا للتشريع كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]وظهرت عند سفر معاذ بن جبل الصحابي الذي ذهب ليقضي بالإسلام بين أهل اليمن بعد غزوة حنين ، وعندما أراد الرسول أن يوصيه سأله كيف تقضي فيما يعرض لك فقال معاذ :(أقضي بكتاب الله فإن لم أجد فيه أخذت بسنة رسول الله، فإن لم أجد فيها أجتهد رأيي ولا آلو.)[3]

ولا يخفى على المسلمين وجود الكذب والزيادة في الأحاديث النبوية، فوضعت طريقة صالحة لتمييز ما هو صحيح عما ليس كذلك،وطبقت طريقة النقد التاريخي التي تشمل تحقيق اتصال الرواية وقيمة الرجال، وقد أدى هذا الوضع بالمحدثين إلى أن يصنفوا الحديث ثلاث مجموعات تبعا لدرجة التثبت التاريخي: الصحيح والضعيف والمكذوب .[4] ومن المستشرقين من كان له شهادة سامية حول علم تدوين الحديث، يقول **ألويس شبرنجو**[5] في مقدمة لكتاب الإصابة في تمييز الصحابة المطبوع في كلكنة سنة 1853- 1864م: لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة، أتت في

[1]- فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني، مدخل إلى الإستشراق المعاصر وعلم الحديث، ص:112

[2]مالك بن نبي، ظاهرة القرآنية،ص:106 بتصرف

[3] رواه أبو داوود في سننه، كتاب الأقضية 23،باب11 اجتهاد الرأي في القضاء ،حديث رقم 3592 .

[4]- مالك بن نبي، ظاهرة القرآنية، ص:107

[5]ألويس شبرنجو مستشرق نمساوي الاصل ثم تجنس بالجنسية الانجليزية ولد في 3 سبتمبر 1813م اشتهر بكتابته عن حياة النبي صل الله عليه وسلم المسترقين ص28 .

علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم الخطير الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونه.[1]

و يخلص مالك بن نبي إلى نتيجة مفادها أن مصادر الإسلام المدونة و هي الآيات القرآنية التي تستخدم كوثيقة تاريخية مطلقة الصحة ، والأحاديث الصحيحة كأحاديث البخاري و مسلم و غيرها التي خضعت إلى دراسة نقدية اتبعها المحدثون المنزهون عن الكذب أو الغش أو التدليس ،هما مصدران يستخدمهما الباحثون في الإسلام صحيحين على السواء،وسيكون -من الادعاء -أن نرفض منذ البداية باسم المنهج ما تقدمه لنا السنة من أسانيد.[2]

[1]- علي بن إبراهيم النلمة،السيرة النبوية والإستشراق، ت ن2016/2/8-1437/4/28، موقع شبكة الألوكة

[2]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:107 بتصرف

المبحث الثالث: إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قبل العثة

تمهيد : يقرر مالك بن نبي أنه لا يمكن الاستغناء في دراسة الظاهرة القرآنية عن معرفة الذات المحمدية، ومن هنا عكف على دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بدءاً بطفولته، ومروراً بزواجه بخديجة رضي الله عنها، وصولاً إلى بعثته والوحي إليه.

المطلب الأول: دلائل نبوته من طفولته و شبابه

أثبت مالك بن نبي الصحة التاريخية للمصدرين الأساسيين للإسلام ، مؤكدا على أنهما لم يعتريهما الكذب ولا التلفيق ولا الزيادة خاصة فيما يخص القرآن.واعتمد عليهما كوثيقتين تاريخيتين ليثبت بهما صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من خلال ما جاء في القرآن والسيرة النبوية ،لينقل لنا الصفات التي ميزت هذه الشخصية النبوية عن بقية من حوله وليتبين في الأخير أنه من الذين اصطفاهم الله لتبليغ رسالته وإعادة إقامة التوحيد الذي بشر به جميع الأنبياء قبله. فأول حادث اعترض النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب أن يكون بمثابة التنبيه الأول الذي كان من الممكن أن يطبع حالة نفسية في ذات محمد صلى الله عليه وسلم تُكَوِن في ذاته فكرة عن النبوة، يروي مالك بن نبي[1]:" لقد جاء أحد إخوته من الرضاعة ذات يوم مبهور الأنفاس ليقص متلعثما على حليمة حدثا غريبا فاجأ محمدا، فهبت حليمة من فورها تبحث عن رضيعها ،فلما لقيته أدى لها ما حدث قائلا: جاءني رجلان يلبسان البياض فأمسكاني وفتحا صدري وقلبي وأخرجا منه علقة سوداء."[2] وهذه الحادثة

[1]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:111

[2]-شق الفؤاد هناك وملئ حكمة وإيمانا بعد أن أخرج حظ الشيطان منه.والمقريزي، امتاع الأسماع ،تم نشر هذا الكتاب إحياءا لذكرى وفاة والد السيدة هانم الدرمداشية السيد عبد الرحيم الدرمداش ، من قبل اللجنة رئيس اللجنة أحمد أمين ،إخراج محمود محمد شاكر،ج1، ص:6

أوردها بعض المفسرين في تفسير سورة الشرح﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ ﴾الشرح:1-3

وجاء في السيرة عن حادثة شق الصدر، عن أنس بن مالك أن رسول - صلى الله عليه وسلم - أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني : ظئره - فقالوا : إن محمدا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس : قد كنت أرى أثر المخيط في صدره[1]. فهذه حادثة شق الصدر كما ترويها السيرة.

كان أول اتصال للنبي بالعالم الخارجي عندما اصطحبه عمه أبو طالب في رحلة معه إلى البصرى و الشام من أجل التجارة، و كان النبي حينها لم يزل غلاما تذكر السيرة حدثا غريبا جرى في تلك الرحلة يقول مالك بن نبي :" فلما بلغت القوافل مدينة بصرى بالشام استقبلهم راهب الدير استقبالا حارا وقدم لهم الضيافة المسيحية ثم انتحى ذلك الراهب المسمى بَحيرا بأبي طالب جانبا وقال له ارجع إلى مكة بابن أخيك واحذر عليه اليهود فإنه كائن لهِ شأن عظيم."[2] و من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم ما زاده في الوصاية به والحرص عليه تظليل الغمام له وميل الشجر بظلها عليه، وبشر به بحيرا الراهب وأمر أبا طالب أن يرجع به لألّا تراه اليهود فيرمونه بسوء فكانت هذه أول بشرى نبوته وهو غير واع لها وغير متأهب لها.[3]

[1]- رواه أحمد (3 \ 288) ، ومسلم (162) والنسائي (1 \ 224 -225)صحيح،

[2]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:112

[3]- المقريزي، إمتاع الإسماع، ج1، ص:8

يفسر المستشرقون أمثال **وات**[1] **وبروكلمان**[2] هذه الوقائع التاريخية طبقا للمنهجية المادية فهم يشككون في كل ماورد في الروايات الإسلامية فيما يتعلق في حياته قبل البعثة إلا ماجاء في سورة الضّحى، فهما يتفقان على يتم النبي وفقره وضلاله.[3]

يعقب **وات** على حادثة شق الصدر وقصة بحيرا الراهب، قائلا أن القارئ يجد نفسه إزاء أرضية مهزوزة لوقائع هذا المدى الزمني الذي يبلغ ربع قرن بين الميلاد والزواج.[4]

وردا على من أنكر إرهاصات النبوة يقول مالك بن نبي:"فقد كانت توجد إبان تلك الفترة حالة نفسية خاصة كما يوجد دائما في كل مكان قبيل الأحداث الهامة كالحرب مثلا. كان أهل مكة ينتظرون النبي الموعود في سلالة إسماعيل."[5]

ومما يمكن قوله أيضا أن كتب السيرة لم تذكر أن هذا الخبر أثر على نفسية النبي أو أحدث تغييرا في انطباعاته وهذا ما أكده مالك قائلا: " فهذه الحادثة لم تغير شيئا في نفس محمد ولا عمه أبي طالب فعمه حتى وأنه لاحظ علامات نبوته مات دون أن يعترف مطلقا بالإسلام، أما فيما يخصه صلى الله عليه وسلم حتى على فرض أن القصة طرقت سمعه ،فإن الحادث لم يغير شيئا من سلوكه كسائر شباب قريش."[6]

---

[1]- هو عميد الدراسات العربية بجامعة أدميرا من آثاره عوامل انتشار الإسلام محمد في مكة الإسلام والجماعة الموحدة نجيب العقيقي ص454.

[2]- بروكلمان ولد في 17 سبتمبر 1866 في مدينة روستوك اهتم بالدراسات الشرقية ة كتاب الأدب العربي وصنف أجزاءه الخمسة موسوعة المستشرقين عبد الرحمن بدوي ص 68

[3]-عبد الله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، ط1، 1417هـ-1997م ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،هيرندن فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ص:59

[4]-عبد الله محمد الأمين النعيم، نفس المرجع السابق، ص:60

[5]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:114

[6]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص113

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم محفوظا من الله تعالى أن يتهم بغناء الجاهلية ومجالسهم مع ما فيها من الفحش والرقص، ولكنه كصبي كان قد همّ بذلك مرتين في حياته، لكن الله تعالى عصمه، فلم يغش مجالس الفحش والفجور، بل كان الله تعالى يضرب عليه فينام، فلا يسمع شيئا من ذلك، ولا يستيقظ إلا على لهيب الشمس. يسوق مالك بن نبي شهادة تدل على اصطفاء الله لمحمد صلى الله عليه وسلم على بقية البشر كانت ظاهرة في صفاته وتصرفاته فكان كلما راودته نزعات الشباب إلا وجاء عارض يمنعه من الإقبال عليها.[1]

فعن عليّ - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله يقول: "ما هممت بقبيح مما همَّ به أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بالنبوة إلا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل من فعلهما: قلت لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فلما جئت أدنى دار من مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج فلانة، فلهوت بذلك الصوت حتى غلبني النوم فنمت، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك."[2]

يقول مالك بن نبي معلقا على الحادثة " ومن هذا يظهر أن حادثا عارضا غير متوقع يحدث دائما ليحوله عن قصده وليست الخرافة هي التي تتكلم في هذا الشأن ولكنه الشاهد نفسه أعني التاريخ القائم على الأحاديث الصحيحة."[3]

[1]-مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:113

[2]- رواه ابن حبان في صحيحه، (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) كتاب التاريخ، باب ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه قبل أن يوحى إليه 14/ 169 رقم 6272.

[3]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:113

كذلك من دلائل سمو صفاته الخلقية ماترويه كتب السيرة عن شهادة أصحابه وعشيرته له بذلك يقول مالك بن نبي:"وفي هذا المرجع التاريخي شهادة ضمنية من ألمع الأسماء في التاريخ الاسلامي مثل خالد بن الوليد أولئك الذين أصدروا على نبي المستقبل حكما موجزا ولكن كم هو بليغ حين أسموه الأمين."[1]وكان الله تعالى قد صانه وحماه من صغره وبرأه من دنس الجاهلية ومن كل عيب ومنحه كل خلق جميل لما شاهدوا من طهارته وصدق حديثه وأمانته.[2]

من بين الشهادات التاريخية الدالة على سمو أخلاقه صلى الله عليه وسلم شهادة زوجته خديجه له ويظهر ذلك عندما أرسلت إليه في أمر الزواج رغم أن النبي كان يعاني من الفقر بالإضافة أنه كان خادما لها، بينما خديجة كانت من أغنى وأشرف نساء مكة . فأهل مكة كانوا ينتظرون النبي الموعود في سلالة إسماعيل وكانت خديجة تغذي سر طموحها في أن تتزوج النبي المنتظر وتراه في محمد ولكن محمدا لم يكن أقل صراحة حين دافع عن نفسه أن يكون ذلك النبي المنتظر.[3]

فهل كانت خديجة تغذي سر طموحها في أن تتزوج النبي المنتظر كما يقول بن نبي ؟ لا نرى ذلك يخطر على بالها كما لم يخطر على بال محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيا.

إنما الأمر هو كما ذكر ابن الأثير : فلما بلغ خديجة عن رسول الله صدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق أرسلت إليه ليخرج في مالها تاجرا إلى الشام.وخرج معه ميسرة حتى قدم الشام فنزل الرسول في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب فاطلع الراهب رأسه إلى

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ص: 114

[2]- المقريزي، امتاع الاسماع ، ج1، ص:11

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:115

ميسرة .فقال من هذا فقال ميسرة: هذا رجل من قريش فقال الراهب مانزل تحت هذه الشجرة إلا نبي ثم باع الرسول وعاد. فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة يرى الملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره. فلما قدم مكة ربحت خديجة ربحا كثيرا وحدثها عن قول الراهب، وما رأى من إظلال الملكين إياه وكانت خديجة امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما أراده الله من كرامتها. فأرسلت إلى رسولالله فعرضت عليه نفسها.[1]

المطلب الثاني :دلائل نبوته بعد زواجه و قبل بعثته

يذكر مالك بن نبي أن النبي لم يكن يعاني من المشكلة الدينية، فالتوحيد كان قائما قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ويقول:" إننا نعلم عن هذا العصر أن العادات الوثنية في المجتمع الجاهلي كانت قائمة على أساس قديم من التوحيد التقليدي ولكن هذا التوحيد لا يستتبع أي شعائر خاصة."[2] فقد كان الطابع الإبراهيمي ظاهرا بقدر في البيئة الجاهلية في ذلك العصر إذ كان يظهر هنا وهناك حنيفي ولكن هذا الطابع كان تقليدا عربيا محضا لا يمتد بصلة إلى التفكير اليهودي المسيحي الذي كان تياره الروحي قد نشأ قبل ذلك بزمن طويل مع الحركة النبوية الإسرائلية الأولى أي مع موسى.[3]

[1]-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ط1، 1407هـ-1987م، دار الكتب العلمية، بيروت، مجلد1، ص:569

[2]-مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:116

[3]-مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:116

ومما ادعاه المستشرقون في هذا قول المستشرق **جولد تسيهر**[1]:" فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها."[2]

رد مالك بن نبي على من تبنى هذا الرأي من المستشرقين قائلا:" وحتى في زماننا نجد أن الأدب الكتابي لم ينتشر مطلقا وكثير من المسلمين مازالوا يجهلون تاريخ هذا الأدب اليهودي المسيحي وبهذا فإنه ليس من المنطق أن نفترض أن الحنفاء كانت لهم معرفة أوسع عن تيار الفكر والوحدانية."[3]

يذكر مالك بن نبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حبب إليه الانعزال بعد زواجه ، فإن محمدا سينسحب من مجتمع مكة وينعزل عن بيئته ويجمع نفسه متأملا وهي عزلة لها نتائجها في غار حراء، فقد اصطحب النبي معه فكرة التوحيد التي كانت من جده إبراهيم ، فالتوحيد ظل أصفى عند بعض المتصوفة الذين كانوا يسمون في ذلك العصر الحنفاء فهؤلاء تركوا وثنيتهم لكي يعكفوا على عبادة إله واحد.[4]

فاعتزال النبي في نظر مالك بن نبي كان يشبه اعتزال حنفاء عصره ، فمن السهل أن نتصور بأي زاد زهيد وبأية أفكار مألوفة وبأي قصد عادي اعتزل النبي المجتمع بعد

---

[1] جولد تسيهر: كان ميلاده في الثاني والعشرين من شهر يونيو سنة 1850 م بمدينة أشتلو لقنينبرغ في بلاد المجر تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها في بودبست وليبزيج ترك جولد تسيهر أثارا كبيرة ومتنوعة شملت معظم العلوم الاسلامية عن الاسلام وفقهه والأدب العربي يحي مراد معجم المستشرقين، د:ط،د:ن،ص437

[2] -أغنتس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام ،ط1: 2009م،منشورات الجمل ،بغداد ،بيروت، ص 20

[3] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:118

[4] مالك بن نبي، المصدر نفسه ،ص:115-116 بتصرف

زواجه كما كان يفعل حنفاء عصره. فأي زاد روحي أو عقلي اصطحبه معه في تلك العزلة التي انطلق منها بعد خمسة عشرة عاما الشعاع القرآني؟ [1]

انتقد عبد الله محمد دراز مالك بن نبي في نقل تأكيدات بعض المستشرقين وافتراضهم حول مدة اعتكاف النبي قبل نزول الوحي، وهو موضوعهم المفضل في هذا الإطار؛ إنه يرتكز على القول بأنها فترة احتضان وتخمر للأفكار الدينية التي سبقت وضوح القرآن في الوعي المحمدي ،وإن فرضية غياب كهذا لا سند لها و غير صحيحة على الاطلاق من الوجهة التاريخية ؛ فالمصادر الوثيقة جدا تحدد تاريخ هذا الاعتكاف بشهر قبل نزول القرآن.[2]

وقد جاء في السيرة، ولما تقاربت سنه الأربعين حبب إليه الخلاء وكان اختياره لهذه العزلة تدبيرا من الله له إذ يعده لحمل الأمانة، دبر له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة بثلاث سنوات.[3]

فهل كان محمدا صلى الله عليه وسلم يغرق في تأمل عميق في المشكلة الدينية يقوده نوع من من إلهام الدعوة المستقبلة؟ لقد أجاب المستشرق **ديرمجهام** على السؤال بالإيجاب ، لكن هذا فيما يبدو لا يعدو أن تكون تخيلا من المؤلف لأنه لم يعتمد فيه على شهادة تاريخية غير قابلة للطعن وهي شهادة القرآن:﴿ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ ﴾القصص: 86 فالآية تؤكد أن النبي لم يكن لديه أدنى فكرة في أن يقوم بدعوة من أجله هو ،لا قبل عزلته ولا خلالها.[4]

[1] مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:116 بتصرف

[2] - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص13 -14

[3] -صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الكتاب الحديث، لبنان، 1435هـ-2014م،ص:13

[4] -مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص118-119

يدعي المستشرقون أن الفترة التي اعتزل فيها محمد عن الناس هي فترة تكوين الوحي. **فجولد تسيهر** مثلا يدعي أن الوحي من فيض خاطر محمد صلى الله عليه وسلم، أو هو انطباع لإلماماته الروحية، أي أنه ناتج عن تأملاته الشخصية وخواطره الفكرية، كما يدعي أنه استفاد من خلواته وتحنثه وتفكيره حيث أدرك بذلك بطلان ما كان عليه قومه من عبادات وثنية، فطال تفكيره في محاولة إنقاذهم من ذلك الشرك القبيح وتطهيرهم ،فأصبحت هذه الأفكار عقيدة انطوى عليها قلبه، حتى أيقن أنه نبي بعثه الله لهداية البشر.[1]

يشير مالك بن نبي إلى نقص المعلومات والتفاصيل عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم منذ زواجه إلى بعثته؛ فهو يرى أن المعلومات عن هذه المرحلة ذات أهمية إذ تعد مرحلة رئيسة من الوجهة النفسية عن هذه المرحلة بالنسبة إلى تاريخ الدعوة المستقبلة. ويورد حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم ، أراد من خلاله أن يجلي حياة النبي قبل بعثته وأن عزلته لم تكن عزلة مطلقة.

و جاء في الحديث الوارد[2]: "على العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله وساعة يخلو فيها لحاجته من المأكل والمطعم والمشرب وعلى العاقل ألا يكون ضاعنا إلا لثلاث تزود لميعاد أو مرمّة لمعاش أو لذة في غير محرم."[3] فإذا نحن قررنا اطراد الذات المحمدية فها هو ذا برنامج الحياة المرسوم الذي يجب أن يتبعه ولاسيما في مرحلة عزلته كما يعلق مالك بن نبي.[4]

[1]-أغنتس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام ،ط1: 2009م،منشورات الجمل ،بغداد ،بيروت ص 20

[2]-مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية ، ص121

[3]-رواه بن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد عن أبي ذر الغفاري .

[4]-مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص121

ويمكن أن نقول في خلاصة هذا الفصل :كانت هذه هي الدلائل التاريخية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أثبت فيها مالك بن نبي أن النبوة ظاهرة تاريخية واقعية متكررة ، قامت على عقيدة وجود الله تعالى و عقيدة التوحيد ، و كل الأنبياء عبر تاريخ البشرية جاؤوا داعين إلى عبادة الله تعالى وحده،فالنبوة ظاهرة موضوعية قابلة للدراسة العلمية و النقد التاريخي، و كان في خلال ذلك يرد على المذهب المادي الذي ينكر العالم الغيبي و لا يؤمن بوجود الله تعالى .كما أثبت صحة مصادر الإسلام كوثيقة و هما القرآن و السنة الصحيحة .و اعتمد على هذين المصدرين لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه و سلم تاريخيا قبل البعثة ، بالرجوع إلى ماجاء عن حياته و أخلاقه في السيرة النبوية من طفولته إلى زواجه .

الفصل الثالث: الدلائل النفسية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عند مالك بن نبي

المبحث الأول: النبوة ظاهرة نفسية مستقلة عن إرادة النبي

المطلب الأول: النبوة

المطلب الثاني : دعوى النبوة

المبحث الثاني: النبوة ظاهرة مستقلة عن اللاشعور

المطلب الأول: محمد صلى الله عليه وسلم وبداية الوحي

المطلب الثاني: صمود النبي أمام البلاء وإخلاصه في تأدية الرسالة

المبحث الثالث: الظاهرة النبوية مستقلة عن الظاهرة القرآنية

المطلب الأول: المقياس الظاهري

المطلب الثاني: المقياس العقلي

المطلب الثالث: مقام الذات المحمدية في ظاهرة الوحي

تمهيد :بعد أن تعرفنا على الدلائل التاريخية في الفصل السابق ، سوف نتناول في هذا الفصل الحديث عن طبيعة النبوة من وجهة نظر مالك بن نبي، وكذلك نتناول رد مالك بن نبي على المستشرقين الذين فسروا الظاهرة القرآنية وفق نظرية اللاشعور.ثم نأخذ بيان مالك بن نبي حول استقلال الظاهرة القرآنية عن ذات محمد **صلى الله عليه وسلم**.

المبحث الأول: النبوة ظاهرة نفسية مستقلة عن إرادة النبي

تمهيد: يتضمن هذا المبحث الحديث عن خصائص النبوة النفسية بصورة عامة عند الأنبياء ، حيث عقد مالك بن نبي موازنة علمية بين النبوة وبين ادعائها، من خلال عرض حالة النبي أرمياء كنموذج لعرض الأفكار العامة عن النبوة. وسنتناول الحديث عن هذا في المطالب الآتية:

المطلب الأول: النبوة

إن الدارس والفاحص والمتتبع لسلوك الأنبياء من خلال الوثائق التاريخية دراسة يتحرى فيها الصدق والموضوعية يتحاشى أن ينسب إلى الأنبياء بعض المواصفات التي لم تتجل أبدا في خلقتهم ولا في أخلاقهم، وقد أنصف **وات** حينما وصف بعض المستشرقين بالغباء الشديد في مجال علم النفس والدين والصحة عندما وصفوا ظاهرة الوحي عند محمد صلى الله عليه وسلم بأنها هلوسة.[1]

يزكي مالك بن نبي الأنبياء من المواصفات التي نسبت إليهم فيقول: "إن حياة الأنبياء وتاريخهم يمنعاننا من أن نعدهم مؤمنين مندفعين دون تعقل وبكل بساطة إلى الخوارق والمعجزات، أو أن نحكم بأنهم معتوهون بأصل خلقتهم اختلت عقولهم وبصائرهم بنقائص مزمنة؛ فهم على العكس يمثلون الإنسان في أسمى حالات كماله البدني والخلقي والعقلي وشهادتهم الاجتماعية تحضى بالثقة التي تستحقها". فالتاريخ يمدنا بأفعال ومواصفات تخص

[1]- منتجمري وات، محمد في مكة، ص26.

الأنبياء يعجز أي إنسان أن يصل إليها وشهادة الأنبياء على أنفسهم دليل على الكمال الخلقي والعقلي لهم.[1]

اختار مالك بن نبي النبي أرمياء[2] ليصف لنا المظاهر السلوكية للنبي، وكان اختياره لهذا النبي من أجل الضمانات التاريخية التي تخول كتابه وتاريخه الشخصي قيمة الحقيقة الموضوعية، وأقر هذه التزكية البروفسور **مونتيه** الذي جردّ الكتاب المقدس من كل الصحة ما عدا كتاب أرمياء. وأيضا من دواعي مالك لاختياره توضيح بعض التعميمات التي استقاها النقد الحديث من المصادر العبرية عن الأنبياء وأدعياء النبوة[3]، و في ذلك يقول: "هذا هو أنصع مثال يمكن استخلاصه من الحركة النبوية الإسرائيلية ليعرض علينا الأفكار العامة عن النبوة وعن نفسية النبي."[4]

أخبرنا النبي أرمياء -من خلال كتابه -عن الحالة النفسية التي كانت تصحبه خلال مرحلته النبوية، فقد صورها كأنها قوة تدفعه ولا يستطيع مواجهتها، كما أخبرنا عن المواقف التي تعرض لها من قبل قومه عندما أراد تبليغ رسالته[5] يقول: **((لقد صرت محور سخرية طيلة النهار فالجميع يهزؤون بي لأني كلما تكلمت وجدتني مضطرا لأن أصرخ وأعلن الجبروت والخراب، لقد صارت كلمة الله بالنسبة إلي مصدر عار واستهزاء، فإذا قلت لم**

---

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص88.

[2]- أرمياء:الاسم بالعبرية يهوه يهين ،وأبوه حلقيا كاهن عاش في مدينة الكهنة عناثوث وهي إحدى مدن بن يامين على بعد أميال من أورشليم. الأب متى المسكين،النبوة والأنبياء في العهد القديم ،ط3 ،2014 م ،دار مجلة مرقس القاهرة ،ص:210.

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص: 89-88.

[4]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق ، ص: 93.

[5]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق ، ص: 95.

أعد أذكره أو أتكلم بإسمه وجدت في قلبي كالنار المضطرمة المستكنة في عظامي، فأحاول أن أطفئها ولكني لأستطيع.)). [1]

تمثلت معانات أرمياء في السخرية والاستهزاء، فقد أنكر قومه ما جاء به ، وهذا الإعراض الذي تلقاه والمعاملة السيئة أدت به إلى محاولة التخلي عن دعوته، لكن النبي أرمياء لا يستطيع أن يفعل ذلك فأقر بأن قوة(كالنار المضطرمة) كانت تدفعه دفعا قويا للقيام بدعوته. يقول مالك بن نبي: " هذا العنصر الأخير هو الذي نعدّه العنصر الجوهري في الحالة الداخلية للنبي، إذ هو يحدد بصفة نهائية سلوكه في المستقبل و هذا السلوك يعد قطعا جوهر حياة النبي."[2]

فهذا العامل له إذن بعض القهر بالنسبة إلى ذات أرمياء، وقد توقف أرمياء عن دعوته حينما جاء حنانيا لكي يمنعه لكنه لم يلبث أن ظهر في الأماكن العامة مصمما على إتمام دعوته.[3]

و هناك قهر آخر كان يتجلى في أحكام أرمياء على أحداث عصره "والحق أن النبي قد حكم على هذه الأحداث على نحو يختلف تماما عن أحكام معاصريه وطريقته الفذه في النظر إلى الأشياء صدقتها الأحداث بشكل عجيب."[4]و مثالهكما يقول مالك بن نبي :صدق أحكام أرمياء على حالة الإسرائيلين في أثناء أسرهم ببابل ، لقد كانوا يأملون العودة القريبة إلى وطنهم وهم ينتظرون ارتقاء حاميهم ماردوخ،لكن أرمياء قد ذهب منذ البداية إلى نقيض

[1] -أرمياء(9:20). الكتاب المقدس ، مكتبة وصال العرب، كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت -الاسكندرية مصر - -http://St-Takla.org

[2] - مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص 96.

[3] - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 96.بتصرف

[4] - مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: 97.

هذا الأمل الذي حقّر من شأنه بموعظة التشاؤمية، فقد حذر الأمة من نير أقسى، ولقد صدق التاريخ تشاؤم أرمياء الرهيبة بطريقة عجيبة، فقد هلك مردوخ في الواقع مقتولا.[1]

فقد نبأ أرمياء بالخراب القادم، فالنبي أرمياء أمر أولا وأرسل ليعلن ما هو آت قريبا وتم خلع الجذور وقلب الأشياء ثم التحطيم النهائي لمملكة يهوذا، وكذلك عقاب الأمم بسبب شرهم.[2]

فسر النقد الحديث لغز النبوة بأنها مواهب شخصية معينة تخول لهم الحكم العميق على التاريخ، ويرد مالك بن نبي على هذا قائلا: لكن يبدو أن هذا الرأي العقلي المنكر للوحي قد فاتحه أن ما ينقص أرمياء مثلا بصفة موضوعية هو الأساس العقلي لأحكامه على أحداث التاريخ، وأكثر من ذلك فالأنبياء بوصفهم مصادر لنبؤاتهم لم يرجعوا إلى منطق الأحداث، بل تجاوزوا هذا المنطق ولهذا يظهرون في نظر معاصريهم بمظهر عدم الاتساق في التفكير.[3]

فهؤلاء النقاد ينسبون هذه التفسيرات إلى الأنبياء لنفي التوحيد والقوة العليا والعالم الآخر، متحفظين بذلك على منهجهم الفلسفي المادي والعقلاني، وغايتهم من ذلك تصفية كل الحضارات من آثار النبوة وبقايا الرسالات؛ فالإله عند الحدثيين غير موجود وإنما هي أحوال نفسية للإنسان ومشاعر وطموحات يخلع عليها العقل الشعبي صفة القداسة ويجعلها في عقله الله، والنبوة أمر بشري بحت فهي أيضا صفات بشرية لأناس غير عاديين وصلوا لدرجة من الكمال الإنساني عالية بالنسبة لغيرهم.وقد أعطى محمد عمارة تعريفا للنبوة عند

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية ، ص: 97-98.

[2]- الأب متى المسكين،النبوة والأنبياء في العهد القديم، ص:213

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص: 97.

الحدثيين:"هي حالة من حالات الفعالية الخلاقة للمخيلة الإنسانية وليست ظاهرة فوقية مفارقة للواقع وقوانينه."[1]

المطلب الثاني: دعوى النبوة

إن الكتاب المقدس لا يولي اهتماما كبيرا للتعريف بمصطلحي الوحي والنبوة فيعتمد العلماء المسيحيون في تعريفهم لهتين الكلمتين على أسفار العهد القديم.

يعطي القديس **توما**[2] تعريفا للوحي والنبوة بأنه: كلام الله أجراه على لسان الأنبياء ولا أحد من أنبياء الذين تلقوا كلامه يستطيع مقاومته أو عدم الاستجابة للنداء الإلهي بل يندفع اندفاعا لا إراديا، ليعلن كلمة الله، وإن كان كارها لهذا الأمر خائفا مما قد يخضع له نتيجة نبؤته ويضيف بأن النبوة قوة مصيرية تقريرية في تاريخ شعب بني إسرائيل وهي نار ملتهبة ومطرقة تقطع الحجارة إربًا.[3]

بينما يعرف الفيلسوف اليهودي موسى ابن ميمون النبوة بأنها فيض من الله عز وجل بوساطة العقل الفعال على القوة الناطقة أولا ثم على القوة المتخلية بعد ذلك ،وهذه هي أعلى مرتبة الإنسان وغاية الكمال الذي يمكن أن يوجد لنوعه، وتلك الحالة هي غاية كمال القوة

[1]- عماد الدين الزرقان، الحداثة والإله والنبوة الأنسنة (5)، ت ن، تاريخ النشر 29. 05. 2016، موقع البوصلة.

[2] ولد 1225م-1274م ولد في قصر روكا تيكا بمدينة ايكويني من أسرة ألمانية شريفة تعلم في دير مونتيه كاسينو للرهبان البونداكتيين سنة 1230م التحق بجامعة نابولي وكان من طلابها المعنيين على ترجمات ميخائيل سوكت باللاتينية ومزال فلسفته أساس الدراسات اللاهوتيية الكاثوليكية حتى اليوم من كتبه خلاصة المذهب الكاثوليكي وحدة العقل مجموعة الردود على الخوارج نجيب العقيقي المستشرقون ص128

[3]- يوسف الكلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التنقية والقديس، إصدار1: 2009م، دار صفحات للدراسة والنشر سورية، دمشق، ص:241

المتخلية، وهذا أمر لا يُمكن في كل إنسان، ولا هو أمر يصل إليه بالكمال في العلوم النظرية وتحسين الأخلاق..."[1]

ويعرف **سيجال** النبي بأنه: فم ربّه الذي به يتحدث إلى الشعب فيسمعه كلام هذا الربّ، ويطلق على النبي عدة أسامي منها الحازي[2] والرائي، وكلتا التسميتين الرائي والحازي من جهة، والنبي من جهة أخرى لا تعنيان نوعين متميزين من رجل الله، بل هما تعنيان اتجاهين وعلاقتين لنفس الرجل يكمل كل منهما الآخر وهما معا يمكنان رجل الله من أن يملأ وظيفته التي حددت له من قبل الله.[3]

كما يردّ **سيجال** على الباحثين المحدثين الذين يرون أن كلمة نبي مستحدثة ولم يكن لهذا اللفظ وجود إلا في أيام إلياس واليسع قائلا: "أخطأ الباحثون في ظنهم أن الرائي والنبي تميزان نوعين مختلفين؛ إذ أن النبي والرائي هما نوع واحد."[4]

هذا الخلط الذي حدث عند بني إسرائيل حيرهم في السير وراء النبوات؛ الأمر الذي جعلهم يشككون في بعض الأحايين من نبوات حقيقية ويتبعون نبوات كاذبة أو يجعلون بعض الأنبياء في دائرة الشك إلى أن تثبت صحة نبواتهم فيتبعونها مثلما حدث مع أرمياء.[5]

يذكر مالك بن نبي مصير لفظة نبي عند النقاد المحدثين فيقول:"لقد تجلى هذا الخلط في التعميمات المفرطة في الدراسات الحالية للظاهرة النبوية وهي التعميمات التي تقحم

---

[1]- فكري جواد عبد، أثر الفلسفة في تطوير مفهوم النبوة عند اليهود فلسفة ابن ميمون نموذجا، مجلة مركز دراسات الكوفة ،مجلة فصلية محكمة ،العدد 38، 2015م، ص:40

[2]- الحازي: بالعربية حوزيه وهو العراف، سيجال. حول تاريخ الأنبياء عند نبي إسرائيل، ترجمة وتعليق د. حسن ظاظا، د ط، د ت ص:17

[3]- م. ص سيجال، ، المرجع نفسه، ص: 19

[4]- م. ص سيجال المرجع نفسه، ص: 15

[5]- فكري جواد عبد، أثر الفلسفة في تطوير مفهوم النبوة عند اليهود فلسفة ابن ميمون نموذجا، مرجع سابق ص:41

الصفات الخاصة بالنبي في نموذج مطرد هو العراف.[1] ومن خلال هذا النموذج يريد النقد الحديث أن يكشف حقيقة النبوة التي سبق أن اعتبرها ذاتية، وهو بذلك يعطل منذ البداية دراسة الظاهرة حين يؤكد أن ما يراه العراف ويسمعه في حالات انجذابه وغيبوبته رهن بشخصيته، وربما يكون هذا ثمرة في اللاشعور من أحواله الدينية السابقة ومن ميولة الداخلية المتعمقة فوجوده كله، التي تتجلى حينئذ أمام ضميره كأشياء تبدو له خارجة عنه.[2]

وقد استقى النقد الحديث أسانيده عن الموضوع وهذه الأسانيد هي في الواقع المخطوطات الإسرائيلية في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، وهي التي كانت مصدرا للمعلومات الرئيسية عن الحركة النبوية.[3]

ومن خلال مصير لفظة نبي عند بني إسرائيل كما أوردها سيجال ، اتسع نطاق نشاط الأنبياء والرسل وزيادة عددهم عند بني إسرائيل، ويمكن تقسيمهم إلى ثلاث مجاميع:1- أنبياء مرسلون من الله بالحق.2- أنبياء كذابون أو وثنيون.3- أنبياء أرسلوا من السماء ولكنه طغى ما في قلوبهم على الوحي واختلط ما هو من عند الله مع ما هو من عندهم، ولهذا تحير بنو إسرائيل في السير وراء النبوات."[4]

من خلال التعميمات التي ذكرها النقد الحديث ،قدم مالك بن نبي موازنة بين النبي ومدعي النبوة وضح من خلالها مبادئ كل واحد منهما إذ: "تميز النبي الموحي إليه بالمقاومة العنيفة ضد الألوهية القومية التي صارت لبّ العقيدة الشعبية... جميع الاتجاهات

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 95.

[2]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص: 91.

[3]- مالك بن نبي،نفس المصدر السابق، ص: 89.

[4]- فكري جواد عبد، أثر الفلسفة في تطوير مفهوم النبوة عند اليهود فلسفة ابن ميمون نموذجا،ص40

الخلقية للنبي الموحى إليه قائمة على أساس الفكرة المتسلطة الملازمة فكر إله واحد عام...النبي يريد أن يثبت فرائضه الخاصة في شعائر قومه..."[1]

بينما مدعي النبوة ،فيكون موقفه موقف الانتهازيين الذين يتبعون التيار الشعبي وهو بهذا لا أثر له أخلاقيا وليس ملهما، أما موقفه اتجاه عقائد عصره هو موقف المبالغة في التساهل تساهلا يصل إلى حدّ التسلق والملاينة. كما أن مدعي النبوة لا يبشر بمبدأ شخصي بالمعنى الصحيح بل يكتفي إما بأن يطنب في شرح رسالة النبي وإما بأن يبشر بنوع من المعارضة في مقابل رسالة النبي.[2]

يوضح مالك بن نبي أمرا مهما في الحركة النبوية هو أن مهمة النبي لها مبدأ وثيق الصلة بالأفكار العامة للحركة النبوية فمهمتها لها زمن يتناسب مع عرض هذا المبدأ وتبليغه، بخلاف أدعياء النبوة.[3] فالنبوة إقرار بتاريخية الوجود الإنساني ولهذا فإن النبوة ليست شيئا قائما في الفراغ بل إنها انبثاق محدد له أبعاده الاجتماعية والتاريخية. وتجربة للوحي على أن الاهتمام الإلاهي يتعلق أساسا بالأمم والشعوب خاصة حين الشدائد والأزمات.[4]

المبحث الثاني :النبوة ظاهرة مستقلة عن اللاشعور

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية ، ص: 93.

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص 94.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 92.

[4]- نبيل سيساوي، قراءة في كتاب علي مبروك – النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ محاولة في إعادة بناء العقائد.

تمهيد: من أبرز ادعاءات المستشرقين دعوى أن النبي كان يعاني من حالات نفسية ؛ مدعين أحيانا أن الوحي كان ينبثق جراء معاناته الاجتماعية وأحيانا أخرى ينبثق حين تلازمه بعض الحالات النفسية. قدم مالك بن نبي تفسيرات للحالة النفسية التي صاحبت النبي صلى الله عليه وسلم طيلة دعوته انطلاقا من القرآن وكتب السيرة واصفا حالته صلى الله عليه وسلم، ناقدا في نفس الوقت ادعاءات المستشرقين المبنيه على التحليلات التي تخدم منهجهم وغاياتهم ؛ لكي يتوصل من خلال ذلك إلى أن ظاهرة الوحي خارجة عن شخصه صلى الله عليه وسلم وأنها ليست ظاهرة ذاتية و لا علاقة لها باللاشعور. وهذا ما سنتعرف عليه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: محمد صلى الله عليه وسلم وبداية الوحي

يذكر مالك بن نبي أن كتب السيرة لم تول أي اهتمام في وصف الحالة النفسية التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ، و على العكس من ذلك توجد كل التفاصيل عن حياته فيما يتصل بالمرحلة القرآنية .ولذلك حاول أن يعطي تفسيرا لهذا الجانب من خلال ما ذكره القرآن وكتب السيرة من مواصفات للنبي، استنتج من خلالها الحالة النفسية التي عانى منها النبي في مرحلة دعوته.[1]

يصف لنا مالك بن نبي حياة الرسول قبل تلقيه الوحي فيقول بأنه منذ خمسة عشر عاما لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم سوى حنيفي بسيط يقسم وقته بين عبادة الله والتأمل في جميل صنعه،أما بالنسبة إلى المشكلة الغيبية فلم تساور ضميره مطلقا فقد كان عنده حلها، جزء منها إلهامي شخصي، وجزء آخر موروث لأن إيمانه بإله واحد إنّما يأتيه من الجد البعيد إسماعيل.[2]

[1]-مالك بن نبي الظاهرة القرآنية، ص:120.

[2]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 122.

هناك الكثير من المستشرقين من ادعى أن الوحي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم تخلّق له أثناء عزلته التي كانت فترة بحث وقلق حول المشكلة الغيبية: يقول **توماس كارليل**[1] "القرآن لو تبصرون ما هو إلا جمرات ذاكيات قذفت بها نفس رجل كبير السن بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال في الخلوات الصامتات وكانت الخواطر والأفكار تتراكم عليه بأسرع من لمح البصر وتتزاحم في صدره.[2]

يذكر مالك بن نبي أن المشكلة الدينية لم تكن تعني النبي صلى الله عليه وسلم، فعزلته لم تكن سوى مجرد سلوك أخلاقي على طريقة نسّاك الهند أو متصوفة الإسلام، أكثر من أنه كان يبحث عن القيام بدعوة، وهذا ما أقرّه القرآن وكتب السيرة.[3]

ويذكر أن الحالة النفسية التي أصابت النبي صلى الله عليه وسلم في نهاية عزلته هي الشك في نفسه ؛ فقد وجد النبي نفسه فجاة أمام عارض لم يسبق أن أصيب به من قبل ويحاول أن يبحث عن حل لهذه المشكلة النفسية.[4]

و يتساءل مالك بن نبي إذا ما كان هذا العارض مجرد حركة في اللاشعور أو إلهام بحل قريب وغير عادي للمشكلة.ويحاول البحث عن حل لمشكلة الشك في مجال اللاشعور ولكن هذا غير ممكن لأن مادة القرآن وفكرة النبي ليس مجالها أبدا اللاشعور يقول مالك بن نبي: " فلو قلنا إن ذلك من عمل اللاشعور فيجب أن نطبق هذه القاعدة على تفسير مادة القرآن كلها وتفسير فكرته المتصلة كما نفسر بها أعراض الظاهرة وطوارئها عند النبي ولكن هذا ليس أبدا ممكنا."[5]

---

[11]- ولد 1795م-1881م من أثاره الابطال وفيه عقد فصلا عن الثورة الفرنسية . نجيب العقيقي المستشرقون ص481.

[2]- إدريس حامد محمد، أراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص:65.

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص: 123.

[4]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص: 123.

[5]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:124.

هناك من المستشرقين من ادعى أن الوحي ناتج عن اللاوعي أي عندما تنتاب النبي نوبات من الإغماءات وحالات من الصرع وأثناء النوم. يقول **نولدكه**[1]: "فعندما كان محمد يذهب في تفكير عميق ،فإنه كان في أثناء ذلك تأخذه إغماءات مفاجئة وعندها كان يعتقد أن قوة إلهية تسري فيه، لكن وكما رأينا فإن الوحي يصبح واضحا عندما يفصم عنه الملك أي عندما يعود إلى الوعي الكامل بعد حالة الهيجان الشديد تلك فإن تلك الحالات كان يعتريه فيها هياج نفسي عد نفسه مفضلا به."[2]

يرى مالك بن نبي أن الفكرتين التاريخيتين المذكورتين سابقا في الآية 86من سورة القصص، و في تعقيبه على خديجة عندما فاتحته في أمر الزواج ، لا تفسران ماهية الشك إلا أنهما تشهدان بأن شك النبي لم يكن ناتجا عن أمل أهوج أو جنون بالذات أو تضخم في تلك الذات.[3]

يذكر مالك بن نبي أن النبي كان يشكو لزوجته الاضطراب الذي كان في نفسه ،ويكاشف زوجه الحانية بهمومه ، إذ يظن بنفسه الجنون والمس ويرى أن سحرا مشؤوما قد أضرّ به ولكن خديجة تواسيه وتهدئ روعه.[4]

---

[1]- ولد بنودر في 2 مارس 1836م بمدينة هاربودج ويعد شيخ المستشرقين الالمان تحصل على الدوكتوراه الاولى في 1856م برسالة عن تاريخ القرآن كان متقنا إلى اللغات السامية (العربية، الوريانية والعبرية) اهتم بدراسة الشعر العربي القديم والنحو العربي والنحو المقارن للغات السامية. موسوعة المستشرقين عبد الرحمن بدوي ص595.

[2]- رضا محمد الدجقي، الوحي المحمدي بين الإنكار والتفسير النفسي، ط1، 1430هـ-2009م، دوحة، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، دولة قطر.

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص: 123.

[4]-جاء في السيرة ما روته أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي هي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها حتى فاجأه الحق فأتاه جبريل فقال يا محمد أنت رسول الله قال رسول الله:" فجثوت لركبتي ثم رجعت ترجف بوادري فدخلت على خديجة فقلت زملوني زملوني ثم ذهب عني الروع.."ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص: 576.

على كل حال فإننا نجد النبي بعد هذه التهدئة يستأنف طريقه إلى عزلته ويهاجمه الشك من جديد ويسيطر عليه الاضطراب الشديد الذي يطبع أحواله النفسية، في ذلك العهد لأنه يشعر بحضور أشبه بظل يطوف حوله.[1]

خيم الليل وهو لازال في عزلته حتى إذا نام أحس بحركة توقظه وهو يلمح أمام عينيه الآن رجلا منتشحا بلباس أبيض ، إن المجهول يقترب منه ثم يخاطبه ويأمره بالقراءة،[2]لكن النبي أبى أن يقرأ وحاول الهرب من ذلك الذي يغطه، فيكرر جبريل الأمر مرة ثانية وثالثة:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾العلق: 1-5وكانت هذه المرة الأولى التي تظهر فيها الظاهرة القرآنية بالنسبة إلى النبي وإلى التاريخ ومن هذه اللحظة أصبح لدى النبي الأمي شعور بأن كتابا قد طبع في قلبه.[3]

يصور لنا مالك بن نبي كيف أصبح محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن انقطع الوحي عنه مدة وكيف عادت إليه الشكوك فيقول: "انتظر النبي زمنا طويلا...قبل أن يرى للمرة الثانية زائره الغريب ويسمع صوته. لقد يئس منه وأخذ الشك يستولي مرة أخرى على نفسه التواقة إلى اليقين فهو يعتقد إما أن يكون قد خدع في جوارحه أو أن القدرة قد تخلت عنه تلك التي اعتقد حينها أنها تقوده."[4]

---

[1]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:125-124.

[2]- وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" ثم أتاني فقال يا محمد أنت رسول الله قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق فتبدى لي حين هممت بذلك فقال: يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله. قال: إقرأ، ثم قال :إقرأبإسم ربك الذي خلق فقرأت فأتيت خديجة فقلت :لقد أشفقت على نفسي وأخبرتها خبري، فقالت أبشر فوالله ما يخزيك الله أبدا.."ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص: 576.

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:126.

[4]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:126

ويصف نفسية النبي حين فتر الوحي عنه: لحظات مؤلمة،و دقائق مؤثرة بالنسبة إلى محمد ، ذلك الذي يبحث مستيئسا في نفسه و فيما حوله ، عن المنبع الخفي الذي تدفقت منه الآيات الأولى من القرآن...إن فكرمحمد ليحاول مناقشة حالته الفريدة دون أن يجد لها تفسيرا...نام نوم الطفل الذي أعياه البكاء...ولكن صوت حراء يرن فجأة في أذني النائم:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾المدثر: 1-2. لقد أصمه النداء وأضناه مرة واحدة؛ إذ إن هذه المباغتة جعلته يدرك فجأة أهمية الأمر الذي تلقاه ولم يكن ينتظره.[1]

لقد وجدته خديجة جالسا غارقا في تأملاته فسألته لما لم تتم يا أبا القاسم فيجيبها[2]: "انتهى يا خديجة عهد النوم والراحة فقد أمرني جبريل أن أنذر الناس وأن أدعوهم إلى الله فمن ذا أدعو؟ ومن ذا يستجيب؟"[3]

يسجل مالك بن نبي حالتين نفسيتين ضروريتين لدراسة الظاهرة القرآنية بالنسبة إلى الذات المحمدية و هما مفاجأته في المرة الأولى بالوحي و عناءه في المرة الثانية أمام هذا التكليف غير المتوقع، و هذا يؤكد استقلال الظاهرة القرآنية عن ذات موضوعها النبي،وإذن فالوحي ليس مصدره اللاشعور.يقول بن نبي: "وما كان لنا بداهة أن نقرر أن الحل الثاني للأزمة النفسية يمكن أن يتأخر لو كان مصدره هو اللاشعور لدى إنسان لم يسع إلى إخماد الظاهرة وكبتها في نفسه، بل إنه على العكس قد وجه كل إرادته وكل وجوده لتيسير ظهورها."[4]

هذه التفاصيل النفسية تبرز تماما العزم النهائي عند محمد صلى الله عليه وسلم على قبول دعوته بوصفها تكليفا يأتيه من أعلى. إنه يقبلها في الواقع ولن يتخلى عنها أبدا حتى

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:126

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:127

[3]- هذا الخبرغير موجود في كتب الحديث و مراجع السيرة ،المترجم ،المصدر نفسه ، ص:127.

[4]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص :128.

ولو تعرض فيما بعد لسخرية أطفال مكة ولو آذاه وفتك به سادة قريش كأبي لهب وغيره من المشركين.[1]

المطلب الثاني: صمود النبي أمام البلاء وإخلاصه في تأدية الرسالة

يصور لنا مالك بن نبي الحالة النفسية التي أصبح فيها النبي بعد أن أدرك حقيقة الوحي، فقد تعرض محمد صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته إلى أقسى وأشد طرق المعاملات الدنيئة والمهلكة من قبل قومه . فقد أنكروا ما جاء به نكرانا تاما مما صعب عليه تبليغ رسالته، إلا أننا نجده لم يتخل إطلاقا عن تكليفه: "إنه يقبلها في الواقع ولن يتخلى عنها أبدا...لا شيء سيرغمه على التخلي عنها لا المصالح المضيعة لأسرته ولا توسلات عمه...ولا اقتراح أشراف مكة أن يتولى أسنى منصب هناك...وحتى رغم نبذه وذويه من المجتمع."[2]

لم يلق النبي استجابة لدعوته فقرر أن يحملها إلى مكان بعيد إلى الطائف لكنه لاقى هوانا أقسى ومعاملة شريرة في مهمته.ومع هذه المعاناة التي لقيها النبي في الطائف فقد تلتها واقعة ألمت بالنبي أشد الإيلام ، إذ فقد عمه أبا طالب دون أن يكفر بالوثنية، فالألم والقلق الذي انتاب النبي وهو يشهد موت عمه دون أن يكفر بالأوثان، يكشف في إحدى اللحظات عن إخلاص النبي المطلق لدعوته.[3]

ولم يلبث إلا فترة قليلة حتى فقد زوجه فقد أثرت هذه الفاجعة المزدوجة في أعماق مشاعره فبفقد عمه وزوجه فقد النبي العضد الأدبي و المادي الذي كان يؤيده في مكة. ومنذ

[1]- مالك بن نبي ،المصدر نفسه، ص:129.

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص:129.

[3]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:131.

ذلك الحين فإقامة الرسول في مكة ستصبح مستحيلة فقريش كانت تترصد قتل النبي فقد حيكت مؤامرات تشترك فيها جميع القبائل لكي لا يقع دم الضحية على عاتق قبيلة بعينها.[1]

قرر محمد الهجرة إلى يثرب ولم يكن ذلك سهلا عليه فقد كانوا يلاحقونه من أجل أن يقتلوه، ولكن سنجد عناية الله تتولاه كلما هم به البلاء ، 7 8 ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾التوبة:40. و في هذه الحادثة التاريخية نجد نفسية النبي في سكينة وهدوء يفوق طاقة البشر بينما الخطر والموت على قيد خطوات، فإخلاص النبي يتجلى مرة أخرى بوضوح في تلك اللحظة الحاسمة. وأخيرا فقد نجح النبي في الوصول إلى يثرب التي أصبحت (مدينة الرسول).[2]

لم يلق النبي استجابة لدعوته في مكة فدعوته لم يتح لها أن تبرز معالمها هناك، يصور لنا مالك رحمه الله الصورة النفسية للنبي بعد أن استقر في المدينة فقد كانت دعوته هناك استمرارا للدعوة التي كانت في مكة ونتيجة زمنية لها في وقت واحد فالنبي والقائد سيتحدان في ذات واحدة تدعو وتقود جموع المؤمنين.[3]

فأول ما ابتدأ به النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة هو تأسيس مجتمع تسوده الأخوة، لكنه واجه مشاكل تشريعية ودينية وسياسية وعسكرية ، وقد حل النبي هذه المشاكل بعبقرية، ذات رحابة لامثيل لها مستهديا بالوحي الذي يجيء حاملا دائما الشعاع العلوي والكلمة الأخيرة ،وسيكشف عن ذكاء عجيب وعن حكم على قيم الأشياء وعلى نفسية الرجال

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:132.

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:133.

[3]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 135

. كما يكشف عن إرادة لا يعتريها الوهن ففي كل خطوة يخطوها إلا واكتشفنا الدلائل الناصعة على خشوعه وإيمانه وإخلاصه المطلق.[1]

يقول مالك بن نبي واصفا هذه الصورة النفسية التي اتسمت بالمظهر العقلي للنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة،فالنبي صلى الله عليه وسلم وجد الطبيعة العقلية والأحوال الاجتماعية تختلف تماما عما هو عنه أهل مكة، يقول:"... فإن الرسول سيتيح لنا في أثناء شغله في حل تلك المشاكل جميعا أن نكمل صورته النفسية بمظهر عقلي إذ عندما يضطرم نشاطه يمكن أن نفهم ألوان فكره و أن نقوّم نسيج إرادته و أن نقدر قيمة حكمه على الآخرين و على نفسه أيضا."[2]

فشغل النبي الشاغل في المدينة إقرار السلام بين قبائلها وتنظيم دفاع فعال ضد الأعداء في الخارج (قريش).[3]فالرسول إذن سينظم صفوفه من أجل الصراع المسلح الذي سيفتح له أبواب مكة .وفي هذه الملحمة سيدخل القائد (النبي) كي يفصل في حال دقيقة وكي يتخذ قرارا سياسيا هاما وكي يضع خطة استراتيجية وقد كان يمضي قراراته من وجهة نظر دعوته التي تخلع على كل تفصيل في هذه الملحمة الطابع الروحي الضروري الذي ينسبه إلى الله.[4]

وهكذا بينما كان النبي يقود في سبيل الله فيلق الشهداء الذين اتبعوه كان القائد يلقن أبطال ملحمته أسمى دروس الدبلوماسية والاستراتيجية الحربية جاعلا المسلمين بهذا التوجيه أعظم الفاتحين نزاهة في الوقت الذي يعدون فيه أكمل المستنيرين في التاريخ .[5]

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:134

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:135

[3]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية ، ص:135

[4]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص:136.

[5]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:138.

يدعو مالك بن نبي من خلال ما ذكره إلى ضرورة الاعتراف بسلامة عقل النبي إذ هو يعقل ويدرك أثر الرسالة التي كلف بتبليغها، استجابة للإرادة العليا ، فيقول:"ففي ضوء وثيقة نفسية كهذه لا يمكن أن نعد هذا الاقتناع نتيجة استعداد عقلي غير سليم وتفسير منحرف لبعض الأحداث العارضة داخل الذات أو الخارجة عنها بأنها آية علوية أن محمدا ذو فكر موضوعي لايميل إلى تأييد دعوته بغير معجزته الوحيدة القرآن.[1]

لم يصنع الرسول نفوسا مؤمنة فحسب ، وإنما وضع عقولا مستنيرة وطرق إرادات فولاذية ،إنه ينمي الشعور بالمسؤولية ويشجع المبادأة في كل إنسان ويعظم الفضيلة في أبسط صورها. وإن التأسي والمسارعة رائد كل عضو في الجماعة إذ يرى نفسه في سباق وفق أمر القرآن.[2]

و الرسول عليه السلام في المدينة، أظهر في كلِّ خطواته ثبات عقله، لا كداعيةٍ و رسولٍ فقط، بل كمؤسِّس دولة، و باعث حضارة، و مؤسِّس مجتمع بالتخطيط و الهندسة. بتعبيرنا اليوم هو إنسان مفكّر. و عليه فهذا المفكّر أحكامه صادرةٌ عن جدارة عقليَّة، لا تفاجئها الظروف، و دليلنا في جملة بسيطة إذا قارنّا ما شيَّده هذا النبي من دولة و حضارة.[3]

تعجب النقاد المحدثون من حمل الرسول صلى الله عليه وسلم للسيف، بينما فسر مالك بن نبي دواعي ذلك قائلا:" ولكن إذا كان النبي قد حمل السيف فلأنه كان يعلم جيدا أن مكة لن تلقي السلاح وسيعطيه التاريخ على ذلك البرهان القاطع."[4]

---

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:140.

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:138.

[3] حول الظاهرة القرآنية للأستاذ مالك بن نبي، كتاب ندوات ميزاب في الثقافة والحضارة والمجتمع، مجموعة من ندوات سمعية للمفكر مالك بن نبي تم تنزيلها برمجت بمناسبة زياراته إلى منطقة ميزاب في ماي 1968ت ن:2017.11.02م، موقع فيلسوف الحضارة مالك بن نبي.

[4]مالك بن نبي ،الظاهرة القرآنية ، ص:135

فجل الملحمات التي قادها النبي كانت تتحرك بعبقريته القادرة وإرادته الخارقة متتبعة وثباته من نصر إلى نصر حتى حنين .وإن عمق آرائه ليحير صحابته أنفسهم؛ فإن أول عمل دبلوماسي أمضاه مع مبعوثي مكة كان بالنسبة إلى صحابته موضع دهشة ومبعث عار؛ فقد وقع على معاهدة إرجاع كل مكي يأتي هاربا إلى معسكره بأمر من قريش لكن في الأخير رأت أن تتوسل إلى النبي راغمة أن يقبل المؤمنين الهاربين إلى معسكره، وجملة القول أن النبي قد ظفر بجميع امتيازات المعاهدة.[1]

إن دعوة النبي قد بلغت أوجها، و النبي يشعرالآن بدنو أجله فهو يريد أن يملي وصاياه عن الأمة .واختار لذلك مناسبة عظيمة حافلة ،فأعلن رغبته في إعلان فريضة الحج ذلك العام وهنالك أدى النبي شعائر الحج كلها كأنه يريد تسجيلها إلى الأبد في ذاكرة معاصريه وألقى خطبته الأخيرة وفيها نزل الوحي:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾المائدة: 3

وفي الصلاة الأخيرة التي أقامها بنفسه في المسجد أعلن للحاضرين رغبته في أن يقضي ماعليه من ديون، وبعد شهوده يومين أو ثلاثة صلاة الجماعة لزم حجرة زوجته عائشة و عندماحان الأجل سمعته يتمتم بتلك الكلمات الأخيرة[2]:"اللهم في الرفيق الأعلى."[3]

المبحث الثالث: الظاهرة النبوية مستقلة عن الظاهرة القرآنية

تمهيد :يتناول هذا المبحث الحديث عن العلاقة بين ذات النبي صلى الله عليه وسلم وبين ظاهرة الوحي.فقد كان النبي بحاجة إلى التثبت من مقياسين يدعم بهما اقتناعه الشخصي: مقياس ظاهري للتحقق من وقوع الظاهرة، وهذا مقياس ذاتي محض، يقتصر على ملاحظة وجود الوحي خارج الإطار الشخصي. ومقياس عقلي لمناقشتها، وهذا مقياس

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:137-138

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: -140-141

[3]- رواه البخاري، رقم 5674

موضوعي، يقوم على المقارنة الواقعية بين الوحي المنزل، وما ورد من تفاصيل محددة في كتب اليهود والنصارى.و نتناول ذلك فيما يلي:

المطلب الأول : المقياس الظاهري

سبق وأن بين مالك بن نبي أن جلّ الأنبياء هم من لهم الشهادة الخالصة والوحيدة على نبواتهم فالأمر كذلك بالنسبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم: " ففيما يخص ظاهرة الوحي في مرحلة ظهورها الأولى يمكن أن نتصور أن النبي كان في حالة من حالات التلقي فهو بهذا الشاهد الممتاز على الظاهرة."[1]

تعد شهادة محمد صلى الله عليه وسلم من أقيم الشهادات الموجودة في القرآن والسنة، فالنبي شهد شهادة على نفسه لم يتراجع عنها أبدا فمنذ أن اعترضه الوحي لأول مرة وضعه خارج ذاته؛ فالنبي أدرك الظاهرة بحواسه فهو يسمع صوتا يخاطبه ويرى رجلا متشحا بلباس أبيض و على شفا هاوية حراء يسمع للمرة الأولى هذا الصوت :يا محمد أنت رسول الله، فيرتفع بصره نحو الأفق وإذا بضوء يبهره محيطا بصورة غير مألوفة.[2]

يثير مالك بن نبي شكوكا حول هذه المسألة، يمكن أن تثار في ذهن أي شخص يبحث عن الحقيقة حتى النبي نفسه، فيقول:" فهل سمع ورأى حقا؟ أو الحادث السمعي البصري لم يكن سوى سراب باطني؟ ألم تخدعه جوارحه، لقد كان من المفروض أن تثور هذه الأسئلة في ذهن النبي."[3]

قد يرى البعض ظاهرة الوحي ظاهرة ذاتية محضة ؛ لأن الرؤية موضوع الظاهرة لم تكن في حضور خديجة،و يعطي مالك بن نبي تفسيرا علميا مشابها لقضية الرؤية - يثبت

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 151.

[2] - مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص150.

[3] - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:150.

به المقياس الظاهري الحسي للوحي لدى النبي-يقول مالك بن نبي: " لكن هذا الخروج من القاعدة ليس عسيرا عن الفهم من الناحية الحسية فإن عمى الألوان مثلا يقدم لنا حالة نموذجية لا يمكن أن ترى فيها بعض الألوان بالنسبة إلى كل العيون..."[1]

يفسر المستشرق **منتجمري وات** قضية الرؤية ، بأنه ليس هناك أي سبب وجيه يجعلنا نتشكك في النقطة الأساسية وهي أن بداية النبوة كانت الرؤيا الصادقة، فالمرئي بالنسبة إلى المسلمين هو جبريل ولكن هناك أسباب تجعلنا نفسرها في الأصل على أنها رؤية لله ذاته فإن جبريل لم يذكر في القرآن إلاّ في المدينة، ويشكك في قول الزهري حتى "فجأه الحق وقال..."،و يرى أن لها أهمية مشابهة لأن كلمة الحق من أساليب الإشارة إلى الله.[2]

ويظهر تناقض **منتجمري وات** في الحكم على ظاهرة الوحي في كتابه محمد النبي ورجل الدولة فيقول أن:" الوحي لم يكن من عند الله ولكنه كان من الخيال المبدع وكانت الأفكار مختزنة في اللاوعي عند محمد وهي أفكار حصلها من المحيط الذي عاش فيه قبل البعثة ولم يكن جبريل إلا خيالا نقل الأفكار من اللاوعي إلى الوعي وكان محمد يسمي ذلك وحيا."[3]

عاودت الرؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد عودته إلى غار حراء لكن هذه المرة كانت أكثر قربا ومباشرة وتأثيرا ومادية نوعا ما؛ فإن لها شكلا خاصا هو هيئة رجل متشح بثوبه الأبيض تأمرهُ قائلة﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾العلق:1. ترى هل يمكن للاختلاط أو الهلوسة أن تؤدي أصواتا؟[4]

---

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:151.

[2] - منتجمري وات، محمد في مكة، أنظر، ص:105.

[3] - علي بن إبراهيم النملة، نقد الفكر الاستشراقي، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، 1431هـ-2010م، ص: 117.

[4] - مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:152.

فالحوار الغريب الذي دار بين جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه و سلم والرؤية التي تسبقه ، يشكلان الأساس الأول الضروري للنبي في نظر النقد الذاتي لحالته ،فهاهي ذي الظاهرة تحت سمعه وبصره فهو يرى ويسمع، لكن النبي لا يبدو أنه قد استفاد توجيها محددا لسلوكه في المستقبل فهو الآن يشاهد ويشاهد فحسب.لكن هذه المشاهدة الحسية تترك فكره الموضوعي في حال حائرة مختلطة. ويعود مسرعا إلى مكة مضطربا محطم الجسد، ولكن إحساسا لا شعوريا يعاوده فيوقظه ويملي عليه أمرا واضحا صريحا﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾المدثر: 2. هنا أدرك النبي أهمية الظاهرة في إطار حياته الخاصة.[1]

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى بعض الأعراض التي تنتاب الرسول صلى الله عليه وسلم كلما نزل عليه الوحي:عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :"يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا."[2]

يرى مالك بن نبي أن هذه الأعراض: دوي النحل وصلصة جرس،و ما يصاحبها أثناء نزول الوحي من شحوب و احتقان في الوجه كلها تدل على أن ظاهرة الوحي مستقلة عن إرادة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يصبح عاجزا مؤقتا أن يغطي وجهه بنفسه.[3]

و يرد على أصحاب النقد الحديث الذين ألموا بهذه الدلائل النفسية فعدّوها أعراضا للتشنج .وهذا الرأي عنده يشتمل خطأ مزدوجا: أحدهما اتخاذ الأعراض الخارجية مقياسا

[1]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص:152.

[2]-البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، رقم2، ج1، ص:3

[3]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:153

يحكم به على الظاهرة القرآنية في مجموعها، وإهمال اعتبار الواقع النفسي المصاحب للنبي الذي لا يمكن أن يفسره أي تحليل مرضي. و الثاني أن الأعراض العضوية نفسها ليست خاصة بحالة التشنج عند الفرد المحروم مؤقتا من قواه العقلية و الجسمية."[1]

و يوضح مالك بن نبي بأننا إذا نظرنا إلى حالة النبي وجدنا أن الوجه وحده هو الذي يحتقن بينما يتمتع الرجل بحالة عادية. وبحرية عقلية من الوجهة النفسية، ليستخدم ذاكرته استخداما كاملا خلال الأزمة نفسها ، في حين يمّحي وعي المتشنج و ذاكرته خلال الأزمة .فالحالة إذن بناء على هذه الملاحظات ليست حال مرض كالتشنج .و يضيف أن هذه الأعراض الجسمية لا تنتاب النبي إلا في الحالة الخاطفة للوحي.[2]

و يستنتج مالك بن نبي أنه من المحتم أن يكون للنبي في مجموع هذه الأحداث الشخصية موضوع للتفكير على الأقل في بداية دعوته من أجل عقله الموضوعي فما كان له أن يتغافل عن هذه السلسلة من الأحداث الملحوظة كمقياس ظاهري خاص بحالته.[3]

المطلب الثاني :المقياس العقلي

لم يكن عقل النبي صلى الله عليه وسلم مهيئا لما جاء به الوحي، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا لا يحمل في ذهنه سوى الأفكار الشائعة في وسطه البدائي يقول مالك بن نبي:"من الواجب أن نتصور في كلمة (اقرأ) وهي الكلمة الأولى للوحي تأثيرها الصاعق لأنها لا تعني شيئا بالنسبة إليه فقد كانت هذه صدمة بالنسبة إلى فكره الموضوعي."[4]

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:153- 154

[2]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص154.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:154.

[4]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 155.

فإذا كان النبي قد تخلقت لديه نواة الامتناع عقب الملاحظات الأولى المذكورة، فإن هذه الصدمة العقلية لن تبدد شكوكه مرة واحدة إذ يأمر الصوت في المرة التالية أن ينذر فسيتساءل قلقا من ذا الذي يؤمن بي؟[1]

وعندما فتر الوحي عن النبي وجد نفسه في أقسى لحظات أزمته الأدبية وهنا تعاظم شكه.وأخير ينزل الوحي، فيأتيه بالكلمة العليا فالنبي الآن يملك البرهان الأدبي والعقلي على أن الوحي لا يصدر عن ذاته، ولا يوافيه طوع إرادته، الانتظار الحزين ثم الابتهاج المفاجئ الذي تلاه بعد عودة الوحي هما الظرفين النفسيين المناسبين لتلك الحالة من الفيض العقلي.يرى مالك بن نبي أن الشك الذي عاناه النبي هو الذي اضطره إلى أن ينكب على حالته ويواصل تفكيره ومعالجته التي ستنتهي باليقين النهائي.[2]

وفي هذا التحول نرى أثر التربية السامية التي تعين رسول الله على أن يتحقق تدريجيا في نفسه من حقيقة الظاهرة القرآنية يعينه على ذلك تكيف مستمر لضميره الواعي، وكأنما أعده منهجيا للاقتناع الضروري اللازم لدعوته فأبلغه الوحي منذ البداية خصائص هذه الدعوة العظمى. كما تدل عليه الآية﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾ المزمل: 5

وإن صدق هذه الإرادة العليا التي تملي تلك الكلمة ليتجلى أمام عينيه شيئا فشيئا، فإذا بشكه يخلي مكانه للاقتناع الجديد ثمرة الفكر المستغرقة الناضجة ، فقد تبدلت حال نفسه، فأصبح يثق في ذاته وينزل الوحي لكي يعكس على نظرنا حالته النفسية الجديدة: 7 8 ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ ﴾النجم: 1-12

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص: 156.

[2] - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 156.

يرشدنا مالك بن نبي من خلال ما قدمه إلى تفسير الحالة النفسية للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تعرف على حقيقة الظاهرة وإلى ضرورة الانتباه للحالة الخاصة بالنبي ،فهو يملك البرهان الأدبي الذي يأتيه من الأعلى والبرهان العقلي الذي انتهى إليه بعد استغراقه الطويل في الشك والتفكير، فالنبي مدرك تماما ما ألقي إليه من الإرادة العليا يقول مالك بن نبي :لم يعد لدى النبي أدنى شك أدبي أو عقلي فإن الحكم الصادق هو الذي يهدية. فالحقيقة العلوية للوحي تفرض نفسها فرضا على العقل الوضعي، فكل ما يراه وما يسمعه وما يشعر به وما يفهمه يتفق الآن مع حقيقة واضحة تماما في ذهنه، جلية في عينه هي الحقيقة القرآنية.[1]

وسيتتابع الوحي نزوله بسور القرآن فتتزاحم في وعيه الحقائق التاريخية والكونية والاجتماعية التي لم يسبق أن سجلت في صفحة معارفه بل حتى في معارف عصره ومناحي اهتماماته.يتساءل مالك بن نبي، كيف استطاع النبي أن يدرك الاتفاق العجيب لهذا الوحي مع ما ورد من التفاصيل التاريخية في التوراة ؟[2]

النبي لاحظ أن مثل هذا التفصيل غير المتوقع والذي غاب عن الأعين في طيات التاريخ ليس بذي طابع شخصي دون أن يستخدم فعلا للموازنة حتى يحكم على الفكرة الموحى بها ومدى تصديقها لما ورد في التوراة، فكان عليه أن يلاحظ أخبار الوحي تتنزل عليه من مصدر ما ، فمن هو هذا المصدر؟ فلابد لهذا السؤال أن يحتل في المكانة العقلية التي يستقي منها النبي إدراكه الثابت بعد واقتناعه الشخصي. ولقد جاءت إجابته على هذا السؤال بعد مقابلة باطنية بين فكرته الشخصية وبين الحقيقة المنزلة، خارج ذاته وخارج مجتمعه.[3]

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:157.

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:158.

[3]- مالك بن نبي،المصدر نفسه، ص:158.

فخارج معلوماته لم يكن يستطع أن يجد الحقيقة القرآنية عند أي مصدر إنساني فالنبي قام بدراسة باطنية واعية لحالته للقضاء على كل شك يخايل عينيه على أساس منهجين مختلفين:الأول : ذاتي محض يقتصر على ملاحظة وجود الوحي خارج الإطار الشخصي، والثاني: موضوعي يقوم على أساس الموازنة الواقعية بين الوحي القرآني المنزل وما ورد من التفاصيل المحددة في كتب اليهود والنصارى.[1]

وكأنما كان الوحي يعلمه المنهج الأخير عندما لا يكون الأمر أمر اقتناعه هو بل أمر تأسيس وتربية للذات المحمدية ،ولاسيما عندما يجادل المشركين عن عقيدته، أو وفود النصارى الآتية من أطراف الجزيرة كوفد نجران الذي أتاه ليناقش معهم عقيدة التثليث. قال الله تعالى[2]:﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٩٤ ﴾يونس: ٩٤

يحدث جلال الدين السيوطي فيقول أن النبي عقب على ذلك قائلا لا أشك ولا أسأل.فمن هذا نرى أن النبي كان يمكنه أن يكتفي بالمقابلة الباطنية المشار إليها آنفا على الأقل فيما يتصل باقتناعه الشخصي، ولكن كان عليه أن يشبع حاجة الآخرين إلى الاقتناع، فكأنما قد استخدم لذلك المنهج الثاني عندما كان يتصدى في إحدى المناظرات العامة لتحقيق قيمة الوحي بقيمة موضوعية بالنسبة إلى حقيقة مكتوبة في الكتب السابقة. وتلك على ما نظن المناسبة التى نزلت فيها سورة يوسف فكما قال الزمخشري نزلت هذه السورة المكية عقب نوع من التحدي الذي جابه به علماء بني إسرائيل.[3]

ولاشك أن النبي لم يكن في نفسه مهتما بمثل هذه المقابلة التي تتيح له فرصة الموازنة الموضوعية بين الوحي والتاريخ الثابت في كتب بني إسرائيل.ولعل هذه الفرصة لم

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:158.

[2]- مالك بن نبي، ، المصدر نفسه ص:158.

[3]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية ، ص:159.

تكن الوحيدة التي لجأ فيها إلى الموازنة الفعلية التي تقدم في كل مرة عنصرا جديدا لمقياس اقتناعه العقلي .وأخيرا فإن صوغ هذا الاقتناع يبدو أنه قد سار طبقا لمنهج عادي حين ضم الملاحظات المباشرة للنبي عن حالته ومن ناحية أخرى مقياسا عقليا يستقي منه اقتناعه وهو يجول بعقله في دقائق ملاحظته.[1]

وغني عن البيان أنه لكي يؤمن محمد ويستمر على الإيمان بدعوته يجب أن نقرر وفق تعبير **انجلز** أن كل وحي لابد أن يكون قد مر بوعيين واتخذ في نظره صورة مطلقة غير شخصية ربانية في جوهرها الروحي وفي الطريقة التي تظهر بها. ومحمد صلى الله عليه وسلم قد حفظ بلا أدنى شك اعتقاده حتى اللحظة الأخيرة.[2]

المطلب الثالث: مقام الذات المحمدية في ظاهرة الوحي

يعالج مالك بن نبي ظاهرة الوحي ويؤكد على مباينة الظاهرة القرآنية للظاهرة النبوية،و على الوضع النسبي للذات المحمدية في الخطاب القرآني .من خلال تحليل خطاب جبريل للرسول، بقوله: (اقرأ)، وجوابه صلى الله عليه وسلم: (ما أنا بقارئ). ويخلص أن ثمة فصل قاطع بين الذات المحمدية، والوحي القرآني.

يصور لنا مالك بن نبي الحوار الذي دار بين جبريل والنبي حينما خاطبه لأول مرة (اقرأ) وردّ عليه النبي: (ما أنا بقارئ).ويرى أن المتأمل في هذا الأمر من ظاهره سيلاحظ منذ البداية الوضع النسبي للذات المحمدية في الخطاب القرآني، فمنذ الوحي الأول وضعت الذات المحمدية في مقام المخاطب المفرد وسيظهر أن الوحي ينزل في الواقع على ذات

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص:160.

[2]- مالك بن نبي، ، المصدر نفسه ، ص:160.

مخاطبة ، تؤديه واسطة عن الذات المتكلمة تستعمل هنا مباشرة اللغة الإلهية لتأمر بالقراءة أميا لا يتخيل نفسه قارئا لهذا اضطرب وأجفل.[1]

يحاول مالك بن نبي تفسير الحالة التي تجتمع فيها الذاتان فيقول "وكل ما يهمنا هنا هو معرفة إذا ما كانت هذه الذات المخاطبة وتلك الذات المتكلمة يمكن أن تجتمع في ذات واحدة هي ذات (محمد).ويشير إلى حالة نفسية صاحبت النبي صلى الله عليه وسلم تبين التباعد البيّن بين الذات المحمدية والذات المتكلمة، فالاضطراب والإجفال الذي يعكس طبيعيا الشعور والفكرة اللذين يعرفهما محمد عن نفسه فإجابته السلبية الخاشعة هي النهاية الطبيعية لعملية نفسية تنبثق عن هذه الفكرة التي يدرك موضوعيتها تماما، هي فكرة أميته.[2]

فإنكار النبي للأمر الصارم الصادر من الذات المتكلمة يصور لنا التباعد النسبي بينهما، ولكن نجدهما متحدتين في الزمن لأن كلتيهما تتلاقى وتتقطع في اللحظة نفسها.فمن خلال هذا يؤكد مالك بن نبي على وجود تعارض بين الذاتين من خلال تحديد التباعد الجوهري والاتحاد الزمني للذاتين، فيقول:أن هاتين الحالتين متعارضتين سواء تصورناهما في مجال واحد للذات أو مجالين مختلفين هما الشعور وما وراء الشعور.[3]

ينفي مالك بن نبي إمكانية اجتماع الذوات في وحدة نفسية، و يرى أننا: مضطرون لهذا أن نقرر ازدواج الذات كما يحدث في أي حوار عادي.و يصور لنا الموقف الذي حددته الذات المحمدية اتجاه الذات المتكلمة، فقد احتل وضعا واضحا وإراديا هو مواجهة الذات المتكلمة حين خرجت عن المألوف بأمره بالقراءة وهو أمي لا يقرأ.[4]

---

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:162-161

[2]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص:162

[3]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:163.

[4]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص:163.

ذكر مالك بن نبي أننا سنجد فيما بعد وإلى النهاية أن الذات المحمدية لن تتحدث عن الذات المتكلمة حين تخاطبها وهذا الصمت في ذاته جدير بالملاحظة ؛لأنه يسجل إدراك الرسول النهائي أمام الظاهرة التي سيقف منها من ذلك الحين موقف التسليم. وستظل ذاته صامتة في الخطاب القرآني الذي لن يذكر فيه الأحداث الخاصة في تاريخه فلن نجد أي صدى لآلامه وخاصة عندما يفقد أكرم زوجة وأفضل عمّ.[1]

و يذكر مالك بن نبي أن الضمير المحمدي لم يرد في الخطاب القرآني إلا بصورة المخاطب المفرد، يشير إلى بعض الآيات القرآنية التي تظهر فيها الذات المخاطبة بصورة غريبة، 7 8 ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾يونس: 22

يشير مالك بن نبي إلى الانتقال الغريب في الآية القرآنية من الضمير (كم) إلى الضمير (هم)و يحاول حل هذا المظهر من الوجهة النفسية التحليلية، فيقول:" فنحن نلاحظ في هذا الخروج عن المألوف أن الذات المحمدية تتمثل في وضوح وعلى التوالي في دورين مختلفين فهي مخاطب مفرد مقصود مباشرة في ضمير المخاطبين الذين يتوجه إليهم الخطاب ثم أنها شاهد غير مقصود مباشرة موضوعا بصفة طارئة أمام مشهد عبر عنه القرآن بضمير الغائبين."[2]

ويفسر مالك بن نبي هذا الانتقال الغريب بوجود حالتين نفسيتين لا يمكن أن تنتج الثانية منها إلا من الأولى، فالضمير (هم) يجب أن يكون نتيجة نفسية مباشرة للضمير (كم).[3]

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:163.

[2]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:164.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:165.

يذكر مالك أن هذا الانتقال الغريب في الآية لم يحدث أي تغيير في معنى أو مشهد الآية فيقول:" بينما نلاحظ من الوجهة النفسية أن هذا الانتقال... لا يحدث انتقالا ما في طبيعة الصورة فنحن نلحظ فيها أن الأفعال ترسم المشهد نفسه الذي يتتابع على اللوحة نفسها على حين يتغير الفاعل كما هو واضح، فالانتقال إذن جزئي."[1]

ويتساءل إذا كان من الممكن أن يحمل الانتقال الجزئي على مجرد تداعي المعاني الذي يجري في ذات محمد اللاشعورية ؟[2]

يعطي مالك بن نبي تفسيرا لهذه المشكلة، فيذكر أن تداعي المعاني في حالة اللاشعور لا يعدل الوضع النسبي للفاعل بانتقاله من شخص لآخر فحسب ولكن الفاعل نفسه يتغير فعله..[3]

فالنبي صل الله عليه وسلم الذي كان فاعلا ضمنيا تغير وضعه بالنسبة إلى الفاعل الحقيقي ولكن الفعل يستمر كما هو في الآية المذكورة. و يذكر أنه قد سبق للمفسرين القدماء أن بحثوا هذه المشكلة التي أطلقوا عليها اسم (الالتفات).[4]

يبحث مالك بن نبي عن مجال الذات المتكلمة خارجا عما تقدم ذكره عن نفسية الذات المحمدية التي هي ذات طبيعة إنسانية لا تحتمل التعدد، و أعطى توضيحا مخالفا لأصحاب الفكر الديكارتي الذين لا يقولون بوجود عالم ميتافيزيقي يقول مالك بن نبي:" لا بد لنا من أن نحدد حينئذ مستوى آخر تتم فيه أولا الظاهرة القرآنية وتكتمل قبل أن تؤثر على الذات التي تحملها وتبلغها، وبما أنه لا يمكننا أن نتصور هذا المستوى في ذات إنسانية أخرى ، فمن

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:165.

[2] - مالك بن نبي، الظاهرة القرآني، ص:165.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:165.

[4]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص:165.

الواجب أن نراه ضرورة في ذات غيبية ميتافيزيقية لا يربطها بالذات المحمدية رباط سوى رباط الوحي."[1]و لا شك أنها جبريل عليه السلام – أمين الوحي -

خلاصة الفصل :

ونستخلص مما سبق ذكره أن الذات المحمدية مستقلة تماما عن الوحي، وبهذا فهي ليست نتيجة اضطرابات نفسية أو تخلق للظاهرة نتيجة عوامل اجتماعية، أو أنها من اللاشعور ، بل نبوة محمد اصطفاء من الله . ومن هذا نستنتج أن محمدا صلى الله عليه وسلم من الذين اصطفاهم الله لتبليغ رسالته كما أن نبوته صلى الله عليه وسلم امتداد للنبوات التي سبقوها ، وهي بهذا الرسالة الخاتمة حسب ما أقره القرآن والتاريخ منذ بشارة نبوته إلى يومنا هذا.

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:166.

الفصل الرابع: إثبات المصدر الإلهي للوحي عند مالك بن نبي

المبحث الأول:ماهية الوحي عند مالك بن نبي

المطلب الأول: مفهوم الوحي

المطلب الثاني: الوحي عند مالك بن نبي

المبحث الثاني: خصائص الوحي عند مالك بن نبي

المطلب الأول: تنزيل القرآن الكريم منجما

المطلب الثاني : الوحدة القرآن

تمهيد :يهتم هذا الفصل ببيان الخصائص الظاهرية للوحي-الذي يطرح موضوعات تفصيلية تفوق الخيال البشري- كما هو الحال مع الحقائق الغيبية والسِيَر السابقة التي لم يُحِط بها النبي -صلى الله عليه وسلم- من فكره الخاص. و قد اهتم بها مالك بن نبي و ذلك لأجل إثبات صدق دليل الوحي، وأن القرآن كلام الله تعالى لا كلام البشر.

المبحث الأول:ماهية الوحي عند مالك بن نبي

المطلب الأول: مفهوم الوحي

1- **الوحي في اللغة:** الوحي اسم مصدر من أوحى التي مصدرها إيحاء. قال الزمخشري: أوحى إليه أي أومى ،ووحيت إليه وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره.ووحى وحيا أي كتب.وتوحّي: أي أسرع، واستوحيته يعني استعجلته.[1]

قال الفيروزأبادي: الوحي هو الإشارة والكتابة، والمكتوب والرسالة ،وكذاالإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك ،وأوحى إليه بمعنى بعثه وألهمه.[2] وقال ابن منظور: الوحي هو الكلام الخفي.[3]

وعن الراغب الأصفهاني: أصل الوحي الإشارة السريعة على سبيل الرمز والتعريض ويكون بإشارة بعض الجوارح كما جاء في قصة سيدنا زكرياء، 7 8 ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ

[1]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، تحقيق محمد باسل عيون السود (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية)، 1419هـ-1998م، ص 324.

[2]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث، (ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة)، 1426هـ-2005م، ص 342.

[3]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج 15، (دون طبعة، دار صادر، بيروت)، ص 379.

ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾ ﴾مريم:11وبالكتابة يقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وحيا.[1]

ويقول محمد رشيد رضا: القول الجامع بمعنى الوحي اللغوي: أنّه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره، ومن معانيه اللغوية أيضا[2]:

الإلهام الغريزي: كالوحي إلى النحل، حيث 7 8 ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾النحل: 68

الإلهام الفطري: ويلقيه الله في روع الإنسان كالوحي إلى أم موسى 7 8 ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ ﴿٧﴾ ﴾القصص:7فالأصل في اللغة إعلام في خفاء، ولذلك كان الإلهام يسمى وحيا.

وفي مقابل الإلهام الفطري تأتي وسوسة الشياطين الذين يلقون في القلوب الجدال بالباطل، 7 8 ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ.. ﴿١٢١﴾ ﴾الأنعام:121 ووحي الله إلى الأنبياء فيهما معنيان أصليان لهذه المادة هما الخفاء والسرعة.

2- معنى الوحي في الإصطلاح:

للوحي عدة تعاريف اصطلاحية إن اختلفت ألفاظها فإنها تكاد تتفق في المعاني ومن بين هذه التعاريف نجد:

-هو أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كلّ ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر.[1]

---

[1]- الراغب الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق بمركز الدراسات والبحوث، بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج1 (د. طبعة، مكتبة نزار مصطفى الباز)، ص668.

[2]- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية)، 2005، ص 25.

ومنهم من قال أنه: ما أنزل الله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم، ومنهم من أعطاه كتابا، ومنهم من لم يعطه. [2]ومنهم من قال أنه:إلقاء الله الكلام أو المعنى في نفس الرسل بخفاء وسرعة.[3]

المطلب الثاني : الوحي عند مالك بن نبي

يذهب بعض الدارسين إلى أن مصطلح الوحي يراد به المكاشفة وتارة أخرى يعبر عنه بالإلهام.وقد رد عليهم مالك بن نبي مميزا بين هاته المصطلحات ومصطلح الوحي مبينا بأن هذا لا يتوافق مبدئيا مع الدراسة الموضوعية لهذه الظاهرة؛ فكلمة الإلهام لا تحمل أي مدلول نفسي، على عكس المكاشفة التي لها مدلول لكن لا يتفق مع التغيرات التي تطرأ على النبي صلى الله عليه وسلم حال تلقي الوحي.[4]إذ:" تعرف المكاشفة أوالوحي النفسي بأنها معرفة مباشرة لموضوع قابل للتفكير، أو خاض فيه التفكير فعلا."[5] بينما عرف مالك بن نبي الوحي :" بأنّه المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير، وأيضا غير قابل للتفكير."[6]

أما من الناحية العقلية، فالمكاشفة لا تنتج اليقين الكامل، كيقين النبي عليه السلام بالوحي ووثوقه بأن هذه المعرفة الموحى بها خارجة عن ذاته ثم إن الوحي يحمل مجموعة من المعارف والتشريعات الإلهية التي تشمل جميع نواحي الحياة سواء كانت فردية أو جماعية وتتسم بالوعي، والإدراك، وهذا يختص به الأنبياء أمّا الإلهام والكشف والوحي النفسي فعكس ذلك فهم عبارة عن حالات لا شعورية.[7]

---

[1]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، (ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي)، ص 63.

[2]- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص 25.

[3]- حسن ضياء الدين عتر، نبوة محمد في القرآن افتقار الإنسانية إلى الرسل ظاهرة الوحي وبراهينه- معالم نبوته دلائل نبوته العقلية، (ط1، حلب، دار النصر)، 1393هـ-1973م.

[4]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 143.

[5]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 144.

[6]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 144.

[7]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية ، ص: 144، 145.

نقل مالك بن نبي تعريف الوحي للشيخ محمد عبده في كتابه رسالة التوحيد حيث قال: "" وقد عرفوه شرعا أنّه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه لحكم شرعي ونحوه ، وأما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص في نفسه، مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بالصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت ويفرق بينه وبين الإلهام بأنّ الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور."[1]

و علق مالك أن هذا التعريف فيه غموض فيما يتصل بتفسير اليقين عند النبي .[2]

بينما رأى الشيخ محمد رضا أن هذا التعريف يشمل أنواع الوحي الثلاثة التي ذكرت في قوله تعالى﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾الشورى: 51 ، وتعبيره هذا يشمل قبل التفرقة بينه وبين الإلهام ما يسميه بعض العلماء في الدراسات الإسلامية بالوحي النفسي وهو الإلهام الفائض من استعداد النفس العالية.[3]

وهذا ما أشبه بعض علماء الإفرنج لنبينا صلى الله عليه وسلم كغيره فقالوا:" إنّ محمدا يستحيل أن يكون كاذبا فيما دعا إليه الدين القويم والشرع العادل، والأدب السامي، وصوره من لا يؤمنون بعالم الغيب منهم، وباتصال عالم الشهادة به بأن معلوماته وأفكاره وآماله ولدت له إلهاما فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفية الروحانية العالية على مخيلته السامية، وانعكس اعتقاده على بصره فرأى الملك ماثلا له، وعلى سمعه فوعى ما حدثه الملك به."[4]

---

[1]- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص: 28.

[2]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص: 146.

[3]- محمد رشيد رضا، نفس المرجع السابق، ص: 28.

[4]- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص 28.

فالخلاف بيننا وبين هؤلاء في كون الوحي الشرعي خارج عن الذات المحمدية كما نعتقد فهو نازل من السماء من عند الله عز وجل بواسطة ملك روحاني مستقل وليس فائضا من داخل نفس النبي صلى الله عليه وسلم، كما يزعمون.[1]

فالوحي الإلهي هو ما كشف الله به للإنسان عن حقائق تجاوزت العقل وهو متميز وصادر عن الله تعالى على عكس الإلهام والكشف والوحي النفسي.

المبحث الثاني : خصائص الوحي عند مالك بن نبي

تمهيد :يؤكد مالك أن الوحي من حيث كونه ظاهرة تمتد في حدود الزمن، امتازعن الكتب السماوية السابقة بخصائص ومزايا منها خاصيتين ظاهرتين وهامتين في الوحي نأخذهما فيمايلي: تنزيل القرآن الكريم منجما و الوحدة القرآنية.

المطلب الأول: تنزيل القرآن الكريم منجما

1-كيفية نزول الوحي

جاء في آيات كثيرة ذكر إنزال القرآن الكريم، 7 8 ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ١٨٥ ﴾البقرة: 185و 7 8 ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾القدر:1وقال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ ﴾الدخان:3

أنزل الله القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وقد اختلف العلماء في كيفية إنزاله على ثلاثة أقوال أشهرهم وأصحهم، أنّه أنزل جملة واحدة ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقا في ثلاثة وعشرين سنة.[2]

[1]- محمد رشيد رضا، المرجع نفسه ، ص 26.

[2]- جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ج1، دون طبعة، مطبعة الحجازي بالقاهرة ، ص42

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم ،وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في أثر بعض."[1]

والسر في إنزاله جملة واحدة إلى سماء الدنيا هو تفخيما وتعظيما لأمره وأمر ما أنزل عليه، وذلك بإعلام أهل السموات السبع أنّ هذا آخر الكتب المنزل على سيدنا خاتم الرسل لأشرف الأمم.[2]

عن الحكيم الترمذي في تفسيره قال: " أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا تسليما منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظ بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك بأن مبعثه صلى الله عليه وسلم كان رحمة فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فوضع القرآن ببيت العزة في السماء الدنيا ليدخل في حدّ الدنيا، ووضعت النبوة في قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وجاء جبريل عليه السلام بالرسالة ثم بالوحي كأنّه أراد الله تبارك وتعالى أن يسلم هذه الرحمة التي كانت حظّ هذه الأمة من الله إلى الأمة."[3] 7 8 ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾الأنبياء: 107

نزل القرآن مفرقا على سيدنا محمد بعد أن أكرمه الله تعالى بالنبوة، وكان ذلك في ثلاثة وعشرين سنة وأول ما بدأ به الوحي الرؤيا الصالحة لقول عائشة رضي الله عنها:" أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان عليه الصلاة والسلام لا يرى رؤية إلا جاءت مثل فلق الصبح."[4]

---

[1] -أخرجه الحاكم والبيهقي

[2]- جلال الدين السيوطي، نفس المرجع السابق، ص 42.

[3]- شهاب الدين عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم المعرف بأبي شامة المقدسي، المرشد الوجيز إلى علوم القرآن تتعلق بالكتاب العزيز، (الطبعة 1، دار الكتب العلمية، بيروت)، 1424هـ-2003م، ص 44.

[4]-البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدئ الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج1،ص3.

ثم بعد ذلك حبب لرسول الله الخلوة في غار حراء للتعبد، حتى جاءه جبريل عليه السلام بأول آيات من القرآن الكريم من سورة العلق.

وإنّ من صور الوحي أيضا ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إنّ روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله لا ينال ما عنده إلاّ بطاعته."[1]

وكان يتمثل له رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه الصورة كان يراه الصحابة أحيانا، أو يراه النبي على صورته التي خلق عليها، وكان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه.قالت عائشة رضي الله عنها:"ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنّ جبينه ليتفصّد عرقا."[2]

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن ينزل الوحي متجاوبا مع الرسول صلى الله عليه وسلم يرشده ويهديه، فكان ينزل عليه منجما حسب الحاجة والأحداث والنوازل مكيا ومدنيا حظرا وسفرا.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيئا حتى يأذن له من السماء وقد بين ذلك موقفه إزاء الهجرة، كما قال مالك بن نبي: " فلقد غادر أصحابه بمكة فارين بدينهم بينما كان يعتقد أنّه لا بدّ فيما يتعلق بشخصه أن ينتظر أمرا صريحا من الوحي."[3]

---

[1]-شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، ابن قيم الجوزية، زاد المعارف في هدي خير العابد، ج1.الألباني، صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم 1702 :حسن صحيح،عن حذيفة بن اليمان .

[2]-البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدئ الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج1، ص3.

[3]- مالك بن نبي الظاهرة القرآنية، ص 179.

وقد روى البخاري عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين:"إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين."[1]

وهما الهجرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي ".فقال له أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت ؟ قال (نعم)."[2]

وذكر أيضا مالك بن نبي حادثة الإفك التي افتعلها المنافقون حيث اتهمت فيها السيدة عائشة بنت الصديق والصحابي الجليل صفوان بن المعطل، بارتكاب الفاحشة، وقد تعرض فيها النبي عليه السلام للحيرة ولم يدري ما هو فاعل في أمر أهله.إذ لبث شهرا لم يوحى إليه[3]، فأتى عائشة وقال لها: " أما بعد يا عائشة، فإنّه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإنّ كنت بريئة فسيبرئك الله، وإنّ كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب إلى الله تاب الله عليه."[4]

فما كان منها رضي الله عنها بعد الحزن والبكاء الشديد إلاّ أن قالت والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا قول أبي يوسف: 7 8 ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾يوسف: 18[5]

فنزل الوحي ساعتها وكان عشر آيات من سورة النور من الجمل البراءة لأمنا عائشة وسرّى النبي عليه الصلاة والسلام بذلك. [1]

[1]- البخاري ، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلموا أصحابه رقم3694 ج3، ص 1418

[2]- البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه 3905/9576-957-958.

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص 179- 269-270.

[4]- البخاري، الجامع الصحيح ،كتاب المغازي ،34 باب حديث الإفك رقم3910 ،ج4 ، ص1517.

[5]- صفي الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، ط21، دار الوفاء، مصر، 1436-2015م، ص 290، 291.

2-الحكمة من نزول القرآن منجما

إنّ لنزول القرآن مفرقا أسرار وحكم كثيرة تحدث عنها العلماء، وقد ذكر منها مالك بن نبي التدرج في تربية الأمة. فقد اعتبر التدرج هو الطريقة الوحيدة لتربية الأمة علما وعملا خاصة في زمن يتسم بميلاد دين وبزوغ حضارة ،وقال: " إننّا ببحثنا مسألة تجزئة الوحي في ضوء هذه النظرات نستطيع أن ندرك قيمته التربوية "[2]، فإنّ لنزول القرآن منجما دور عظيم في[3]: -إنجاح دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وانتشارها في ربوع العالم.

- التمهيد للأمة والتدرج بهم حتى يتخلوا عن الرذائل، والعقائد الباطلة، والعبادات الفاسدة التي كانت منتشرة في البيئة الجاهلية.

- التدرج بهم للتحلي بالعقائد الحقة، والعبادات الصحيحة، والترقي بهم في الشرائع، فلو أنهم أمروا بكل الواجبات ونهوا عن ترك كل المحرمات والمنكرات دفعة واحدة لما استطاعوا ولا شق عليهم ذلك،[4] كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: " إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا."[5]

- تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بالعزيمة والصبر والإقدام والإخلاص قال بن نبي " لما كان الإسلام ينتشر في ربا الحجاز ونجد، كان الوحي يتنزل بالدرس الضروري في المثابرة والصبر..."[6]فكان يذكرهم بقصص الأنبياء وما وعد به الصالحون بالأجر والتأييد.

---

[1]- نفس المرجع السابق، أنظر: كتاب المغازي ، 34 باب حديث الإفك، رقم 1016،ج4 ، ص1517.

[2]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 180.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه ، ص 180.

[4]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص 56، 57.

[5]- البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن ، حديث رقم 4727.

[6]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 181.

-مسايرة الوحي للنبي وأصحابه في النوائب والحوادث فكلما جد جديد نزل من الوحي ما يناسبه.[1]وتنتظم هذه الحكمة أمورا[2]:

- إمّا بنزول إجابة على أسئلة التي كانت توجه للنبي صلى الله عليه وسلم من طرف أعدائه كما قال تعالى في جواب على اليهود الذين أرادوا إعجاز النبي بسؤال عن الروح. 7 8 ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾ الإسراء: 85.

-أو تكون الأسئلة من أجل العلم بحكم الله حول مسألة معينة.

- مجاراة القضايا والوقائع وبيان حكم الله فيها عند حدوثها كحادثة الإفك التي نزل فيها الوحي ببرائة السيدة عائشة رضي الله عنها ومثل ذلك قصة خولة بنت ثعلبة التي رفعت شكواها للنبي من زوجها أوس بن الصامت، حيث نزلت فيها ثلاث آيات من سورة المجادلة.

- لفت أنظار المسلمين إلى تصحيح أخطائهم وإرشادهم إلى الصواب.

- كشف حال المنافقين وهتك سرائرهم للنبي والمسلمين كي يأخذوا حذرهم منهم، وحتى يتوب من شاء منهم، 7 8 ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ ﴾البقرة:8[3]

- تثبيت قلب النبي **صلى الله عليه وسلم:** فإنّ في ذلك تقوية لقلبه صلى الله عليه وسلم وذلك من وجوه:[4]

- إنّ تجدد الوحي وتكرار نزوله يملأ قلبه صلى الله عليه وسلم سرورا وبهجة ويجعله يشعر بالعناية الإلهية.

---

[1]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 181.

[2]- محمد عبد العظيم الزرقاني، نفس المرجع السابق، ج1، ص 58، 59.

[3]- محمد بعد العظيم الرزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص 58، 59.

[4]- محمد بعد العظيم الرزرقاني، المرجع نفسه ، ص 53، 54.

- في كل مرة ينزل فيه شيء من الوحي إلا وفيه معجزة جديدة يتحدّى بها أهل الباطل بأن يأتوا بمثله، فيظهر عجزهما ويحس فيها النبي بالقوة والتأييد.

- الردّ على شبه المشركين، ودحض حججهم في كل مرة حتى لا يتمادوا في إضلال أصحاب النفوس الضعيفة ممّا يجعله صلى الله عليه وسلم مطمئنا.

- تعهد الله إياه عند اشتداد الخصام بينه وبين أعدائه بما يهون عليه هذه الشدائد، فكان الله يسليه ويواسيه بذكر قصص الأنبياء وأقوامهم، 7 8 ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴿١٢٠﴾ ﴾هود:120

و خلص مالك بن نبي أن القرآن كلام الله وليس كلام محمد صلى الله عليه وسلم ،فلو نزل جملة واحدة لتحول إلى فكرة ميتة، ومجرد وثيقة دينية، لا مصدرا يبعث الحياة في حضارة وليدة .فالتنجيم هو دلالة على الإعجاز البياني والتشريعي و هو تولد الحركة التاريخية والاجتماعية والروحية التي نهض بأعبائها الإسلام وهو دليل ساطع على المصدر الإلهي للقرآن الكريم ،[1] 7 8 ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ ﴾الفرقان: 32

وبهذا يكون مالك بن نبي قد رد على زعم المستشرقين ،الذين قالوا أن مصدر الوحي هو النبي صلى الله عليه وسلم وأنّ عبقريته وذكائه وشدة فطنته هي التي مكنته من وضع القرآن على هذه الهيئة، كما زعم ذلك كل من **زويمر**[2] و**لامانس** الذين يصفون النبي بالقدرة الفائقة على الإقناع والتأثير في الآخرين وبالعبقرية ليصلا إلى تجريده من النبوة ومن كون القرآن وحيا إلهيا.[3]

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 181.

[2]- هو رئيس المبشرين في الشرق الاوسط تولّ تحرير مجلة عالم الإسلام التي أنشأها مع ماكدونلد له منصنفات في العلاقات بين النصرانية والاسلام أفقدها بتعصبه وتضليل قيمته العلمية نجيب العقيقي المستثرقون ص:1005.

[3]- إدريس حامد محمد، آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص 22.

و كان رد مالك بن نبي على هؤلاء بسؤال استنكاري فيه اعتراض على ما يبثونه من شبهات حول مصدر القرآن ونبوته صلى الله عليه وسلم قائلا: ألم يكن من الممكن أن يتدفق جملة واحدة من العبقرية الإنسانية التي ربما يكون قد صدر عنها ؟[1]و إذن فإن هذا المنهج التربوي الذي جاء به القرآن إنما هو طابع العلم العلوي الذي أملى كلمة الله بطريقة التنجيم.[2]

ونزوله مفرقا حكمة جليلة الشأن تدل الخلق على الحق في مصدر الوحي، 7 8 ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ ﴾الفرقان: 6[3]

ونلاحظ أيضا من جملة ما أشرف به نبينا الكريم هو جمع الأمرين في نزول الوحي إنزاله جملة واحدة ثم إنزاله مفرقا، ولهذا يكون قد باين بينه وبين الكتب السابقة ممّا يدل على أفضليته ومصدره.[4]

المطلب الثاني : الوحدة القرآنية

1-الوحدة الكمية

أنزل الوحي مفرقا في بضع وعشرين سنة، وقد استقرت الأحاديث الصحيحة أنّه كان ينزل متجاوبا مع النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته حسب الحاجة.

ذكر مالك بن نبي أن للوحي مقياس متغير، فكان كل مرة ينزل يحمل وحدة كمية جديدة تتراوح بين حد أدنى وهو الآية أو بعضها وحد أقصى وهو السورة.[5]

وقد صح نزول عشر آيات في "قصة الإفك" ونزول عشرة آيات أيضا من أول سورة المؤمنين" جملة واحدة.وصح نزول﴿ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ٩٥ ﴾النساء: 95 وهي بعض آية، وكذا

---

[1]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق ، ص 180

[2]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص 181.

[3]- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان، ج1، ص 62.

[4]- جلال الدين السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 42.

[5]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص182.

﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ ﴿٢٨﴾ ﴾التوبة: 28إلى آخر الآية، ونزلت بعد نزول الآية الأولى. و صح أيضا نزول سورة كاملة منها سورة الفاتحة والإخلاص، والكوثر، المسد، ولم يكن، والنصر، ونزلت المعوذتان معا، والأنعام، وسورة الصف.[1]

قال مالك بن نبي بأن هاته الوحدات التي تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم تبين أن هناك علاقة بين الذات المحمدية والظاهرة القرآنية فهي تتناسب في الزمن مع الحالة الخاصة والتي سماها "حالة التلقي" عند النبي إذ كانت تعتريه صلى الله عليه وسلم عدة حالات بشرية، وتغيرات مختلفة من تأثير الوحي نفسه.[2]

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفقد إحساسه بالكلية حال تلقيه الوحي، فكان عليه الصلاة والسلام يحس أن نفسه تفيض منه، لقول عبد الله بن عمر وبن العاص قلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي ؟ قال:" نعم، أسمع صلاصل، ثم أثبت عند ذلك، وما من مرة يوحي إلي إلا ظننت أنّ نفسي تفيض منه." [3]

وإن المتأمل في تلك الوحدات التي يتلقاها النبي يجد أنّها تؤدي إلى فكرة واحدة وأحيانا مجموعة من الأفكار مؤتلفة غير مختلفة صحيحة المعاني، قوية المباني، لا ينازع لفظ واحد منها إلى غير موضعه. [4]

فيرى الرافعي أن القرآن كان نمطا واحدا في القوة والإبداع، وأنّ مرد ذلك إلى روح التركيب التي تنعطف عليها جوانب الكلام، وهذه الروح على حد تعبير هم تعرف قط في كلام عربي "غير القرآن وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس، ولولاها لم يكن بحيث هو كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين، إذ تراه ينظر في التركيب إلى

[1]- إبراهيم الأنباري، الموسوعة القرآنية، ج2، دون طبعة، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ-1998م، ص 45

[2]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص182.

[3]- أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، مسند المكثرين من الصحابة ، ج2، ص222.

[4]- جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص168.

نظم الكلمة وتأليفها، ثم إلى تأليف هذا النظم، فمن هنا تعلق بعضه إلى بعض، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي صفة إعجازه في جملة التركيب كما عرفت ،وإن كان فيما وراء ذلك متعدد الوجوه التي يتصرف فيها من أغراض الكلام ومناحي العبارات على جملة ما حصل به من جهات الخطاب، كالقصص والمواعظ والحكم والتعليم وضرب الأمثال ونحو مما يدور عليه."[1]

إذن هذا التناسق بين الوحدات القرآنية والإحكام العجيب رغم نزوله مفرقا تكشف عن قدرة الله، وأنّه منظم ومصدر هذا الكلام، وليست ذات محمد صلى الله عليه وسلم.

إنّ الفترة الزمنية التي كانت تنزل فيه الوحدة القرآنية لم يكن للنبي وقت كي ينظم أفكاره وتعاليمه، فلا يمكن حتى أن يفكر فيها نظرا للحالة الخاصة التي كان يعانيها.[2]

والأفكار التي احتوتها الآيات حول التوحيد واليوم الآخر والقصص والتشريع لا يمكن أن تكون من ذات محمد صلى الله عليه وسلم (فالوحدة القرآنية من عند الله تعالى) فالقرآن مصدر إلاهي، لا علاقة له بالنبي صلى الله عليه وسلم.وقد ضرب لنا مالك بن نبي في ذلك مثالين حول الوحدة التشريعية من سورة النساء والوحدة التاريخية من سورة المنافقين، وبين قوة ترابط وحداتهما وأفكارهما.[3]

2 - أمثلة على الوحدة القرآنية

ا- الوحدة التشريعية من سورة النساء

سورة النساء من السور المدنية الطويلة لقول عائشة رضي الله عنها " ما نزلت سورة النساء إلاّ وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم."[4]

---

[1]- صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، (دار العلم بيروت) ،2014م، ص: 318.

[2]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:183.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص:184.

[4]- البخاري ، الجامع الصحيح ، القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها ، رقم 4993

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى بعائشة في المدينة في شوال من السنة الأولى من الهجرة، بلغت عدد آياتها ستة وسبعون ومائة.وهي سورة مليئة بالأحكام الشرعية، التي تنظم الشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين، فهي تعنى أكثر بالجانب التشريعي كما هو حال باقي السور المدنية.وسميت بسورة النساء لأن معظم الأحكام التي وردت فيها تتعلق بهن وكذلك سميت "بسورة النساء الكبرى " في مقابلة "سورة النساء الصغرى"والتي عرفت في القرآن بسورة الطلاق،ويمكن تلخيص موضوعاتها فيما يلي:[1]

- الأمر بتقوى الله في السر والعلن، وتذكير المخاطبين بأنهم من نفس واحدة.

-بينت هذه السورة الكريمة أحكام الأنكحة والمواريث، فقد تحدثت عن حقوق النساء والأيتام.

- بينت أحكام القرابة والمصاهرة ببيان المحرمات من النساء(بالنسب والرضاع، والمصاهرة).

- تناولت أيضا أحكام الجهاد والقتال.

- تحدثت عن أخبار المنافقين ومكائدهم وخطرهم.

واختتمت السورة الكريمة ببيان ضلالات النصارى في أمر المسيح واعتقادهم بألوهيته ودعوتهم بالرجوع إلى العقيدة الصافية عقيدة التوحيد.[2]

وقد اعتبر مالك بن النبي أنّ هذه السورة تقدم نموذجا تشريعيا على قانون الأحوال الشخصية وركز أكثر على دراسة الآية الكريمة: 7 8 ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ

[1]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 216، 217.

[2]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص: 172.

عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٣﴾ ﴾النساء: 23

فهذه وحدة من الوحي تقرر تشريع الزواج بجميع قوانينه وشروطه الضرورية.[1]

فتثبت المحارم من النسب، وما يتبعه من الرضاع، والمحارم بالصهر، فعن ابن عباس قال: "حرمت عليكم سبع نسبا وسبع صهرا وقرأ (حرمت عليكم أمهاتكم) فالله تعالى نص على تحريم أربعة عشر صنفا من النساء."سبعة منهن من جهة النسب وهن الأمهات ولتشمل الجدات من الأب والأم وبنات وتشمل بنات الأولاد وإن سفلن والأخوات لأم أو للأب أو منهما، والعمات أي أخوات الآباء والأجداد، والخالات أي أخوات الأمهات والجدات وبنات الأخ من أي وجه كان وبنات الأخ وبنات الأخت ويدخل فيها بنات أولادهن ومن أي وجه كان.[2]

وسبعة أخرى لا من هذا النسب وهن الأمهات من الرضاعة والأخوات من الرضاعة وأمهات النساء وبناتهن بشرط أن قد دخل بالنساء وأزواج الأبناء والآباء.[3].فقد عرفنا هذا الأمر أيضا بدلالة هذه الآية الكريمة.

ولاحظ مالك بن نبي أيضا في هذه الآية أفضلية رباط الذكر على رباط الأنثو الأسبقية في الذكر.[4]

وهذا تبيين لمعنى قوامة الرجل وليست قوامة استعباد وتسخير وإنما هي قوامة نصح ورعاية .وهذا ما نجده أيضا في آية الميراث حيث أمر الله بالتسوية بين الذكر والأنثى في أصل الميراث وفاوتبين الصنفين في قدره فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وذلك لأن الرجل

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:184

[2]- محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ج3، (ط1، دار الكتب العلمية بيروت)، 1424هـ-2003م، ص 63.

[3]- محمد الرازي فخر الدين، تفسير فخر الدين الرازي، ج 10، (ط1، دار الفكر)، 1401-1981م، ص 25، 26.

[4]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص184

يحتاج إلى مؤونة النفقة والكلفة، وتحمل المشاق وهو مسؤول على المرأة فناسب ذلك أن يعطى ضعفي ما تأخذه الأنثى.فالاختلاف بينهم في الأحكام الشرعية راجع إلى مراعاة طبيعة المرأة من حيث خلقتها وتركيبها العقلي والنفسي، ثم إن سنة الله افترضت أن يكون الرجل هو الذي يتعب من أجل تأمين الرزق وغير ذلك.[1]

وإنّ المتأمل في كل آية من سورة النساء يجدها تحمل مجموعة من الأحكام تنظم بها الأسرة والمجتمع الإسلامي.وهذا التنظيم والإحكام والترابط ليستحيل أن يكون من ذات محمد صلى الله عليه وسلم وعبقريته، لأن الفترة الزمنية التي كانت تنزل فيه الوحدة القرآنية لم يكن النبي وقت كي ينظم هذه الأفكار والتعاليم والأحكام ورأينا الحالات التي كانت تعتريه صلى الله عليه وسلم حال نزول وحي عليه، إذن هذه الوحدة القرآنية من عند الله وليست من عند محمد صلى الله عليه وسلم.أمّا إذا فسرت هذه الظاهرة طبقا للأسلوب الديكارتي كما يستنتج مالك بن نبي[2]"فإن هذه المسألة تظل معلقة دائما لأن همه كان الوصول للحقيقة عن طريق قوة العقل الفطري وهذه القوة الفطرية يمكن أن يساء استخدامها وتوجه توجيها غير سليم يبلغ إلى مرتبة العجز."[3]

ب- الوحدة التاريخية من سورة المنافقون

سورة المنافقون سورة مدنية تعالج التشريعات والأحكام وتتحدث عن الإسلام من زاويته العملية وهي القضايا التشريعية، عدد آياتها إحدى وعشرين آية.والمحور الذي تدور عليه هذه

[1]- عماد الدين أبو الفداء،إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج3، (ط1، مؤسسة قرطبة، جيزة)، 1421هـ-2000م، ص 371.

[2]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:185

[3]- محمد حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، (ط3، دار القلم، الكويت)، 1403هـ-1983م، ص 97، 98.

السورة هو الحديث بإسهاب عن النفاق هو المنافقين، وسميت بهذا الاسم لفضحها عن أحوال المنافقين وبيان خطرهم، وضررهم.[1]

عمد مالك بن نبي إلى أسلوب تجزئة الوحدة القرآنية في سورة المنافقون في الآية الأولى إلى أربعة أجزاء كل جزء عنده يعتبر فقرة فالفقرة الأولى من الآية عبارة عن موقف تاريخي وهو حضور المنافقين، بين يدي النبي فهدف الآية الكريمة هو بيان غدر المنافقين.[2] 7 8 ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾المنافقون:1

فكان المنافقون يأتون النبي ويشهدون أنه رسول الله ويدّعون الإيمان به لكن في الباطن غير ذلك فهم لا يقرون برسالته، ففضح الله أمرهم وأعلم نبيه بأنهم كاذبون في الفقرة الأخيرة لقوله:والله يشهد أن المنافقين لكاذبون وهذه الجملة معطوفة على الجملة قالوا نشهد إنك لرسول الله فجاءت :والله يعلم إنك لرسوله معترضة بين الجملتين المتعاطفتين وهذا الاعتراض لدفع إيهام من يسمع الجملة الأخيرة " والله يشهد أن المنافقين لكاذبون" إنه تكذيب لجملة إنك لرسول الله.[3]

فالفقرة الثالثة توسطت بينهم ودفعت الإيهام وأكدت الرسالة التي شهد بهاالمنافقون قبل أن يعلن كذبهم فيالفقرة الرابعة الرئيسة.[4]

فهذا الترتيب الدقيق للأفكار وتناسق الآيات في تلك الوحدة الكمية و تلك الومضة الروحية من الوحي ، لا يمكن أن تفسر في حدود المعلومات التاريخية والنفسية للذات المحمدية ، فهي إذن آيات ربانية.[1]

---

[1]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص 1336.

[2]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 186.

[3]- الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير، ج28، ص 235.

[4]- الزمخشري ، الكشاف،تحقيق خليل مأمون شيحا، ط3 دار المعرفة بيروت 1430هـ-2009م ص 108.

و في الخلاصة نقول : يدور موضوع هذا الفصل حول إثبات المصدر الإلهي للوحي عند مالك بن نبي .تناولنا فيه كلا من المعنى اللغوي والإصطلاحي للوحي والفرق بينه وبين المكاشفة.

بعدذلك ذكرنا الخصائص الظاهرة التي امتاز بها القرآن عن كل ماسواه، والمتمثلة في كيفية نزوله حيث اقتضت الحكمة الإلهية أن ينزل مفرقا على مدى ثلاث وعشرين سنة ، متجاوبا مع النبي عليه الصلاة والسلام وفقا للأحداث وحسب الحاجة ، بوحدة كمية تحمل فكرة أو مجموعة من الأفكار وقد ذكرنا فيه مثالا عن الوحدة التشريعية ومثالا عن الوحدة التاريخية أرادمالك بن نبي من خلالهما إثبات أن القرآن من عند الله تعالى بسبب ما تدل عليه من ترابط و انسجام و إرادة و دقة تتجاوز كلها الذات المحمدية.

[1]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص 189.

الفصل الخامس: دلائل إعجاز القرآن الكريم عند مالك بن نبي

المبحث الأول: الإعجاز الأدبي للقرآن

المطلب الأول: تعريف الإعجاز في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: الصورة الأدبية في القرآن

المبحث الثاني: الإعجاز في مضمون الرسالة

المطلب الأول: محاور القرآن

المطلب الثاني: هيمنة القرآن على الكتب السماوية

تمهيد:مضمون هذا الفصل هو بيان دلائل الإعجاز عند مالك بن نبي، فمن خلال تحليله للظاهرة القرآنية، سجل أن القرآن يتميز بلغته المميزة و بأسلوبه و بيانه ، كما تميز بمضمونه الذي يتجاوز عبقرية الإنسان. وسوف نتعرض لذلك في مبحثين : المبحث الأول : الإعجاز الأدبي للقرآن .المبحث الثاني :الإعجازفي مضمون الرسالة .

المبحث الأول: الإعجاز الأدبي للقرآن

تمهيد: نتناول موضوع الإعجاز الأدبي للقرآن بالدراسة في مطلبين هما : المطلب الأول: تعريف الإعجاز في اللغة والاصطلاح.المطلب الثاني :الصورة الأدبية في القرآن.

المطلب الأول : تعريف الإعجاز في اللغة والاصطلاح

أولا- الإعجاز لغة

الإعجاز من العجز ويأتي بمعان عدة، يأتي بمعنى الضعف والقصور عن الشيء (عجز):العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف والآخر على مؤخر الشيء.فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزا، فهو عاجز أي ضعيف، وقولهم إن العجز نقيض الحزم فمن هذا لأنه يضعف رأيه.[1]

و العجز: الضعف، تقول عجزت عن كذا أعجز، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها، مفعلة من العجز وهي عدم القدرة.والتعجيز بمعنى التثبيط.[2]

[1]- ابن فارس، أبو الحسين أحمد فارس زكريا، معجم مقايس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دون طبعة، دار الفكل، بيروت، لبنان)، (420/هـ-1999م)، ج4، ص 232.

[2]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج 5/ دار صادر بيروت، ص 369.

ويقول الزمخشري: عجز:...وأعجز وعاجز إذا سبق فلم يدرك. وعاجزته أي سابقته فعجزته.[1] ومن هذا يتبين أن العجز يعود إلى معنى واحد وهو الضعف والقصور عن الشيء وعدم القدرة.

ثانيا - الإعجاز اصطلاحا:

لم ترد لفظة إعجاز أو معجزة، في القرآن ولا في حديث رسول الله صلى عليه وسلم ولا في كلام الصحابة والتابعين، ولعل أول استخدام لهذه المصطلحات كان بعد منتصف القرن الثالث الهجري ووردت أيضا في القرآن معاني مرادفة لها وكان أيضا يستعملها المؤلفون قديما وهي "الآية " أو " الكرامة"، " البينة."[2]

وعند الرجوع إلى تعريفات العلماء للإعجاز نجد الأكثر لا يفرقون بين تعريف المعجزة وتعريف الإعجاز، ويضعونها في سياق واحد، وهناك فروق أساسية بينهما عدا عن الجانب اللغوي.فالإعجاز هو إثبات العجز بينما المعجزة هي أمر خارق للعادة. والمعجزة حصلت وانتهت والإعجاز باق مستمر كما أن دلالة المعجزة أبلغ من دلالة الإعجاز.[3]

[1]- أبو القاسم ابن محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة تحقيق محمد باسل عيون السود، ج1، (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت)، 1419هـ - 1998، ص 636.

[2]- صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، (ط1، دار عمار، عمان، 1421هـ -2000م، ص:21.

[3]- عمر محمد راجح، عمر أبوليل، الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2014، ص:13.

وعرفه الجرجاني: الإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق.و وضع له حدا فقال: " حد الإعجاز هو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته."[1]

ويعرف مصطفى صادق الرافعي الإعجاز في أمرين: ضعف القراءة الإنسانية في مرحلة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت.[2]

المطلب الثاني: الصورة الأدبية في القرآن

أولا- تحدي القرآن لفصّاح العرب

كان العرب قبل مجيء الإسلام أمّة أمية ليس لديهم علوم منظمة أو فلسفات معقدة، كل ما كان لديهم من علم كان من وحي التجربة، ورواية الشعر بلغة ميزتها عن غيرها من اللغات مجموعة من الخصائص تمثلت في:أنّها لغة تحاكي الواقع بألفاظ فصيحة ودقيقة تتميز بثروة واسعة في الصورة النحوية (الإعراب) وتعدّ من أرقى اللغات السامية من حيث طريق الاشتقاق، والنمو وتركيب الجمل، والتعبير، فنجد في مفرداتها جرس ورنين، قادرة على التعبير عن أدق خلجات النفوس في صور عديدة من البيان والمجاز والتشبيه والاستعارة، والكناية، فضلا عن الغنى الزاخر في البحور والأوزان الشعرية التي انطبعت فيها صورة العبقرية البدوية الصحراوية المتصلة بالحضارة الآرامية والفارسية واليونانية.فجاءت هذه اللغة مبراة

---

[1]- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني في معجم التعريفات تحقيق محمد صديق المنشاوي، (د ن ط، دار الفضيلة، القاهرة)، ص 30-74.

[2]- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (ط9، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ-1973م)، ص 139.

من العيوب التي شاعت على ألسنة القبائل الأخرى في لهجات الخطاب.[1]فكانت صالحة لأن ينزل بها القرآن الكريم وبأسمى صور البيان العربي.

فكان أساس الإعجاز في القرآن عند القدماء البلاغة والبيان فتحدى بمعجزته البالغة، العرب قاطبة والمشركين في آيات كثيرة بأن يأتوا بمثله فعجزوا وهم أهل البيان والفصاحة، والقدرة على النقد والتمييز بين الرثّ من الجيّد وأن شعرهم ليشهد على ذلك، وقد وصفهم الرافعي بقوله: " العرب أصحاب الفطرة اللغوية والحسن البيان الذين صرفوا اللغة وشققوا ابنيتها وهذبوا حواشيها، وجمعوا اطرافها واستنبطوا محاسنها."[2]

فبلغوا مرتبة عالية من البلاغة والبيان والنقد، إضافة إلى ذلك تميزوا برجاحة العقل والذكاء والفطنة، كما أن أكثر معارفهم من ثمار قرائحهم،[3]ومع ذلك فهم عاجزون أمام الأسلوب القرآني بفصاحته أعجزت الفصحاء والبلغاء ولم يقدروا على الإتيان ولو بشيء يشبهه.[4]

يقول صادق الرافعي: " رغم أنه يتكون من نفس أحرف كلامهم، إلاّ أنّ أحرف القرآن نجدها متناسقة بينها تناسقا عجيبا فالحرف الواحد من القرآن معجزة في موضعه ويمتاز أيضا بالتناسق في عباراته وقد اشتمل على عمود البلاغة بوضع كل نوع من الألفاظ التي تشمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص بحيث إذا أبدل

[1]- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، بدون طبعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 57، 58، 61، 74.

[2]- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة، ص 200.

[3]- جرجي زيدان، نفس المرجع السابق، ص 39.

[4]- جرجي زيدان، نفس المرجع السابق، ص 39.

مكان غيره جاء منه إما بتبديل المعنى الذي يكون منه مفاسد الكلام وإمّا ذهاب الرونقة الذي يكون منه سقوط البلاغة.[1]

فلو تدبرنا القرآن عند قراءته لرأينا حروفه في كلماته،وكلماته في جمله ألحنا لغوية رائعة كأنها لانسجامها وتناسقها قطعة واحدة "،[2] على عكس الشعر الجاهلي الذي نجد فيه ألفاظا ولهجات لها نقل على لسان فأمّا ما يعرض للألفاظ فهو ما يسمى في علم الفصاحة بتنافر الحروف الكلمات عند اجتماعها مثل: "مستشزرات" و"الكنهبل" في معلقة امرؤ القيس.[3]

كما أن وحدات أبياته غير متناسقة فيمكن التقديم والتأخير فيها وقد سلم القرآن من كل هذا فنلاحظ فيه تآلفا بين ألفاظه ومعانيه مع كثرة الألفاظ وتنوع الأغراض.[4] 7 8 ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾النساء: 82

والناظر في القرآن يجد فيه القصص والمواعظ والحجاج والحكم والوعد والوعيد والتبشير ويضرب لنا الأمثال التي تعتبر لونا من ألوان الهداية الربانية، فبرغم من هذا التنوع في أغراضه إلا أننا نجد وحداته مترابطة وأفكاره متناسقة تخدم بعضها بعضا.[5]

---

[1]- محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام ،الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ثلاث رسائل، (ط3، دار المعارف، مصر)، ص 14.

[2]- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 214.

[3]- محمود بن علي بن أحمد، إعجاز القرآن الكريم عند الإمام ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، عرضا ودراسة، ص 263، 264.

[4]- مالك بن نبي، الظاهرة القرنية، ص 190-191.

[5]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 190-191.

ومن خصائص الأسلوب القرآني نجد الإيجاز في اللفظ دون الإخلال بالمعنى وأيضا التكرار، فهذا من وجوه الإعجاز فيه وهذه علامة على كون القرآن من عند الله لأهل الفصاحة. وقد ضرب لنا مالك بن نبي في كتابه أمثلة عن مدى تأثير آيات القرآن في النفس البدوية، فهذا الصحابي الجليل عمر بن الخطاب يسلم بعد سماع آيات من الذكر الحكيم.[1]

وها هو الوليد بن المغيرة يعبر عن رأيه في سحر القرآن فيقول: " والله سمعت كلاما ما هو من كلام لإنس ولا من كلام الجن، وإن له حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنّه يعلو ولا يعلى عليه."[2]

ثانيا - أثر القرآن على لغة العرب

كان لظهور الاسلام أثر بليغ على لغة العرب وأساليبها وألفاظها لتشرب قرائح المسلمين، روح القرآن وحفظوا كلامه وأعجبوا به فلا عجب أن نرى أساليب القرآن وألفاظهم في لغتهم، فتطور اللغة لم يكن تدريجيا بل كان شبة انفجار ثوري مباغت.[3]

وشمل هذا التطور والتغير كلا من الأسلوب والألفاظ حيث جعلها لغة منظمة فنية، وصفّاها من أكدارها وتولد فيها ضرب من الإنشاء من أبلغ ما يكون، فتناول بها المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز.قال الرافعي:"ويبقى وجه آخر من تأثير القرآن في اللغة وهو إقامة أدائها

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرنية، ص 190-191.

[2]- أبو بكر محمد بن طيب البقلاني، ترجمة السيد أحمد صقر، (دون طبعة، دار المعارف، مصر)، ص 19.

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص191.

على الوجه الذي نطقوا به وتسيير ذلك في كل عصر، وإن ضعفت الأصول، واضطربت الفروع."[1]

لاحظ مالك بن نبي أن القرآن استخدم ألفاظا آرامية لتعيين مفاهيم توحيدية جديدة كلفظة "ملكوت" "جالوت وهاروت وماروت"، وغيرها فالثروة اللفظية التي جاء بها القرآن خضعت للتكييف الرائع، إذ أن القرآن لم يضعها بحروفها، بل شكلها في هيئة خاصة تمنحه الأصالة الإسلامية[2] مثل ما جاء في التعبير الإنجيلي ملك الله (Royaume de Dieu) فكلمة (Royaume) مرادفها في العربية لفظ (ملك) ولقد مثله القرآن في صورة اللفظ (أيام).[3]

فصاغها في التعبير (أيام الله) وهذا اللفظ لا يعثر عليه أمهر المترجمين وكذلك نجد في الإسم الخاص (puithare) ويطلق عليه في القرآن اسم (العزيز) في قصة يوسف وتعني كلمة (putiphare) " عزيز إلاه شمس". فنلاحظ أن القرآن قد اشتق منها (العزيز) وحذف اللفظ الإضافي ليطابق مع روح التوحيد الإسلامي.[4]

إنّ المتأمل في آيات القرآن وفصاحة ألفاظه وتناسق أفكاره يوقن أنه خارج عن الذات البشرية فهو من عند الله﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨ ﴾ الزمر: 27 - 28

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨ ﴾الإسراء: 88 7 8

[1]- مصطفى الصادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (ط9، دار الكتاب العربي، بيروت)، 1393هـ-1973م، ص 74-80.

[2]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص 192-193.

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص 192-193.

[4]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص 193.

وإنّ هذه اللغة بقيت حية وفعالة إلى يومنا هذا لثبوت نصوص القرآن وبقائه 7 8 ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾الحجر: 9

و قد استنتج مالك بن نبي الفصل التام بين اللغة الجاهلية و اللغة الإسلامية و رفض الفرض الباطل الذي قال به **مرجليوت.**[1]

لقد أشار القدماء مرارا وتكرارا إلى أن الشعر الجاهلي قد دخل فيه انتحال كثيرا ولقد حاولوا جاهدين أن ينفوا الزيف عنه، وما وضعه الوضاع متخذين في ذلك مقاييس كثيرة،[2] لكن هذه القضية لفتت أنظار المستشرقين والعرب أمثال **مرجليوت.**[3]

اعتبر **مرجليوت** القضية جوهرية في رأيه، وهي أن الشعر العربي المنسوب إلى الفترة الجاهلية لا يعبر عنها حيث لا يمكن أن نستنتج من النقوش العربية أنه كان لدى العرب أي فكرة عن النظم والقافية. فبدأ يشكك في الشعر وينفي أن تكون الرواية الشفوية هي التي حفظته فيذهب إلى القول أنّه لم تكن هناك وسيلة لحفظه سوى الكتابة. ثم يعود وينفي كتابته في الجاهلية ليؤكد أنّه نظم في مرحلة زمنية تالية للقرآن الكريم، بحجة أن لغة القرآن ولغة الشعر نفسها.وبإثارته لهذه القضية تولدت على أثرها عدة قضايا وإشكاليات والتي تتعلق بالفرق بين لغتي القرآن والشعر.[4]

إذ يرى أنّه يحتوي على ألفاظ ذات مضمون إسلامي، ولا يمكن أن يعبر عن الحياة الجاهلية ويذكر أمثلة على ذلك "الرحمن" ويقول لو أن هذا الشعر الصحيح

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 193.

[2]- تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف، (ط11، دار المعارف، القاهرة)، ج1، ص 164، 166.

[3]- طارق بوحالة،دراسة نفسية تحليلية في كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسن، الأدب العربي في الدراسات الاستشراقية العدد الثاني، ماي 2013، ص 184.

[4]- الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب، العصر الجاهلي، ج1، ص 167-170.

يمثل لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية لمثل الاختلافات الحاصلة بين لغة القبائلالشمالية العدنانية واللغة الحميرية في الجنوب.[1]

وقد حاول العديد من العلماء جاهدين أن ينفوا الزيف عن الشعر الجاهلي وأن يردوا على ادعاءات **مارجليوث** بأنّ لغة القرآن الفصحى كانت سائدة في الجاهلية وأنّ الشعراء منذ فاتحة هذا العصر كانوا ينظمون، وأنها كانت لهجة قريش وأمّا أن الشعر الجاهلي لا يمثل اللغة الحميرية فهذا طبيعي لأنها ليست لغته.لكن يبدو أنّ هناك من المسلمين من نفذ إلى عقله من سم هذا المستشرق، أمثال طه حسينويظهر هذا جليا بعد نشر كتابه في الشعر الجاهلي قبل أن يصادر هذا الكتاب من المكتبات ويصحح ويعاد عنونته إلى (في الأدب الجاهلي) ونشر عام 1929م وعالج فيها هذه القضية وبسط فيها بسطا أكثر سعة وتفصيلا.[2]

وإنّ الجدال حول هذه المسألة قد صفي وأغلق في مصر بعد أن رد عليه الرافعي، في كتابه (تاريخ آداب العرب) الذي نشره 1911م، وسرد ما لاحظه القدماء.[3]

المبحث الثاني: الإعجاز في مضمون الرسالة

تمهيد : تهدف الرسالة إلى هداية الناس وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد والعلم، وصلاح أمر الناس كافة رحمة بهم .

ذكر مالك بن نبي أنّ ما يتميز به القرآن رحابة موضوعاته وتنوعهابشكل فريد.[4]عبرت عنه الآية :﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨

[1]- الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب، العصر الجاهلي، ج1، ص 167-170.

[2]- الدكتور شوقي ضيف، المرجع نفسه ، ج1، ص 167-170.

[3]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص192.

[4]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص195.

﴾الأنعام: 38يقول مالكبن نبي: " فهو يبدأ حديثه من ذرة الوجود المستودعة باطن الصخر والمستقرة في أعماق البحار إلى النجم الذي يسبح في فلكه نحو مستقره المعلوم ."[1]

وهو يشير بقوله هذا إلى الآيتين الكريمتين: 7 8 ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾ لقمان: 16و قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾ يس: ٤٠وهذا دليل قاطع على وجود خالق واحد ومدبر لهذا الكون.

المطلب الأول: محاور القرآن

إنّ المتدبر لآيات القرآن يجد أنّه تعالى قد اعتنى عناية فائقة بالمحاور الأساسية التي تقوم عليها الشريعة الإسلامية[2] وقد ذكرها مالك بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية وهي:

أولا-التوحيدو النبوة

التوحيد هو من أول المقاصد الرئيسية في القرآن، فهو الغاية الكبرى والمحور الأساسي، فيسعى دائما إلى إصلاح الاعتقاد وتعليم العقيدة الصحيحة.[3] والغاية الأسمى هي عبادة الله وحده لا شريك له وتطهير القلوب من الأوهام.

ومن دلائل وحدانية الله تعالى ذكره لجميع الموجودات من الذرات إلى المجرات 7 8 ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 195.

[2]- محمد الغزالي، المحاور الخمسة، للقرآن الكريم، (دون طبعة، دار الشروق).

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص 200.

﴿ ﴾الأنبياء: ٢٢وإن النظام الدقيق في هذا الكون الفسيح دليل قاطع على وحدانية الله.

والنبوة مقصد قرآني رئيسي، فنجد آيات كثيرة تحدثت عن النبوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم، من حيث أنّه أبين حجة وأصدق شاهد وأسطع برهان على وجود الله، فالإنسان عاجز وضعيف دائما يحتاج لمرشد، ورحمة من الله بعباده أن أرسل رسلا إليهم وذلك قصد الحفاظ على النظام المتقن في العالم فأثبت القرآن نبوة الأنبياء على العموم ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم على الخصوص، وأثبت الكتب التي أنزلت عليهم، ووجود الملائكة الذين كان منهم وسائط بين الله وأنبيائه.[1]

ثانيا - البعث والجزاء:

أكثر القرآن الكريم من ذكر البعث والثواب والعقاب وقد أثبت وقوعه، فتكلم عن دار الأخرة وحسابها ونعيمها المقيم،[2] وعذابها الدائم، فنجد ثلث القرآن تقريبا وأوائل معظم قصار السور آيات دالة على البعث والحشر فالقرآن ينبئ على الحقيقة بالعديد من آياته الكريمة صراحة أو إشارة، فتبين بذلك أن مسألة البعث حقيقة راسخة. 7 8 ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾الزمر:30 - 31

فبهذا التذكير يدفع القرآن المؤمن إلى الندم على أخطائه وإلى أن يستغفر ربه، وهذا أساس التربية الجزائية في جميع الأديان السماوية.[3] 7 8 ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

[1]- أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزّي الكلبي، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ-1995م،ص: 84.

[2]- محمد الغزالي، نفس المرجع السابق، ص 126.

[3]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 195.

ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ ﴾الحشر :18–19

ثالثا -القصص القرآني

لقد عجزت العرب بكل فصاحتها وقدرتها على البيان عن تحدي هذا القرآن والإتيان بآية واحدة مثله، وفي القرآن عدة أساليب لها تأثير بليغ على النفوس من بينها الأسلوب القصصي 7 8 ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ ﴾يوسف: 3.

لقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريمة أحوال الأمم السابقة وأخبار الأنبياء المتقدمين والحوادث الواقعة، فالقصة في القرآن ليست عبارة عن عمل فني مستقل في موضوعه وطريقة عرضه ،وإنّما هي وسيلة من الوسائل الدعوية التي تبرز خصائص القرآن في التعبير والتصوير. فالتعبير القرآني يؤلف بين الغرض الفني والغرض الديني فيما يعرضه من الصورة والمشاهد فالمجال الفني له تأثير وجداني فهو يخاطب الوجدان الديني.[1]

قال مالك بن نبي: " فهو يرسم لوحة أخاذة لمشهد الحضارات المتتابعة، ثم يدعونا لنتأمله لنفيد من عواقبه عظة واعتبارا."[2]

فالله عز وجل لم يذكر تاريخ الأمم البائدة عبثا ولا من أجل التسلية بل كانت له أغراضا دينية دعوية، فوقوف المؤمن على قصص هؤلاء الأنبياء يدرك أن الوحي والرسالة من عند الله فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتبا ولا قارئا ولا يعرف عنه أنه جالس اليهود والنصارى كما قال بعض المستشرقين، فنلاحظ أنّ بعض

[1]- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، (ط17، دار الشروق)، ص 1425هـ-2004م، ص 143.

[2]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص 195.

قصص القرآن جاء في دقة وإسهاب :قصص يوسف وإبراهيم عليهم السلام فورودها في القرآن دليل قاطع على الوحي من السماء.[1]

أيضا تبين أنّ الدّين كله من عند الله من نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، وأنّ المؤمنين أمة واحدة والله واحد ورسالات الأنبياء مصدرها واحد ويدّل على ذلك ذكر الأنبياء مجتمعين في الآية واحدة.ومن أغراض القصة أنّ الله تعالى دائما مع الأنبياء ينصرهم على الأقوام المكذبين وهذا ما كان يثبّت النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.[2]

فالمؤمن عندما يقف على قصص هؤلاء الأنبياء وأخذ العبرة منها يعتبر شيئا عظيما يضيئ له طريقه في حياته، والنفوس تستأنس بالاقتداء، وإنّ زمننا هذا فيه غربة كثيرة وانحرافات مطبقة، لذلك يكون الاستئناس بقصص الأنبياء مما يثبت النفس على طريق الحق.ويرسخه في القلب وتكاثر أدلته أرسخ له وأثبت وأعون على القيام به ونصره وفي ذلك آيات وعبر وابتعادعن غواية الشيطان فإن عداوته خالدة بينه وبين بني آدم فقد حذر الله من وساوسه بتكرار قصة آدم في عدة مواضع.[3]

رابعا -التشريع والأحكام

عندما نتدبر الرسالة نجدها تحتوي على مجموعة من التشريعات والأحكام التي تنظم سير الأمة وصلاحها وهذه الأحكام خاصة وعامة، 7 8 ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ ﴾النساء: ١٠٥

[1]- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 145، 146، 152.

[2]- سيد قطب، المرجع نفسه، ص 145، 146، 152.

[3]- محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 15، ص 40، 41.

فقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعا كليا في الغالب أو جزئيا .لذلك ينبغي اتباع أحكام الله وشرائعه كما جاءت في القرآن ، وقد قال مالك بن نبي في هذا "وهو يتجه نحو ماضي الإنسانية البعد ونحو مستقبلها، كيما يعلمها واجبات الحياة."[1]

فقد بين الله في كتابه الحكيم جميع التكاليف وبين المنافع والمصادر والحلال والحرام.ويؤكد الغزالي أنّ رسالة الإنسان كما وصفها القرآن توضح درجة الرفعة التي أرادها الله، فقد خلقه ليكون خليفة في الأرض، وعبادة الله التي تعتبر الغاية من خلقه فأنزل القرآن بهذه التشريعات ليضبط مسيرة الحياة، ويحكمها بدين الحق.[2]

خامسا -الأخلاق

بين مالك بن نبي أنّ موضوع تهذيب الأخلاق من المواضيع الأساسية التي يهتم بها القرآن فهو يدعوفي كثير من الآيات إلى التحلي بالفضائل وترك الرذائل واجتنابها، والتأسي والاقتداء بالأنبياء.[3] 7 8 ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾القلم:4، وسئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "كان خلقه القرآن"[4] فهذا دليل على أنّ القرآن أولى عناية خاصة بالأخلاق وقال النبي صلى الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق "[5]لصلاح الفرد والمجتمع وهي أصل من أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.

قال الإمام ابن عاشور: "لا يكاد ينتظم أمر الاجتماع كمال انتظامه ولا ترى لأمة عقدها مأمونا من انفصامه ما لم تكن مكارم الأخلاق عالية على جمهورها

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 195.

[2]- محمد الغزالي، المحاور الخمسة في القرآن الكريم، ص 126.

[3]- مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص 195.

[4]- رواه البخاري رقم 4997، و مسلم رقم 746.

[5]- رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وسائدة في معظم تصاريفها وأمورها لأن ملاك مكارم الأخلاق هو تزكية النفس الإنسانية."[1]

وأمام هذه الرسالة العظيمة ورحابة موضوعاتها، نجد مالك بن نبي يضرب لنا مثلا لضمير سام وقف مذهولا أمام القرآن المعجزة الخالدة وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم إنّه الفيلسوف **توماس كارليل** الذي انبعثت من أعماقه صرخة إعجاب بهذا الدين وشرائعه، فألف كتابا سماه "الأبطال" قدم فيها شهادات حول نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق الوحي؛ فقال بأنه قد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر، أن يصغي إلى ما يظن من أنّ دين الاسلام كذب وأن محمدا خداع مزور، وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال المخجلة...[2]

وهو يرى أن الصدق والإخلاص من صفات النبي صلى الله عليه وسلم فيستحيل أن يكون القرآن الذي بين يديه باطلا ومن صنعه يقول" وعلى هذا فلسنا نعد محمدا رجلا كاذبا...وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح، وما كلمته إلا صوت صادق..."[3]

ونجد **توماس** يرد على المتعصبين الملحدين الذين حاولوا تشويه شخصية النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أنه عليه السلام لم يكن يريد إلا شهرة ومفاخرة الجاه والسلطان يقول لهم كلا " لقد كان في فؤاده الرجل الكبير، العظيم النفس، المملوء حكمة ،غايته أسمى من ذلك الذي يزعمون وهي تبليغ رسالة ربه، وهدم أضاليل

[1]- محمد الطاهر بن عاشور أصول النظام الاجتماعي (ط1، دار السلام، القاهرة)، 1426هـ-2005، ص 116.

[2]- الفيلسوف تومان كارليل، الأبطال، ترجمة محمد السياعي، (دون طبعة، دار الكتاب العربي)، ص 58، 68، 80.

[3]- الفيلسوف تومان كارليل، المرجع نفسه ص: 58، 68، 80.

الشعوب الوثنية وإخراج العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور، يقول الإيمان هو مبعث الحياة ومنبع النور."[1]

فرحابة القرآن وبناءه الفريد تتحدى المقدرة المبدعة لدى الإنسان لأن عبقريته وطبيعته تخضع لقانون الزمان والمكان على عكس القرآن فهو يتخطى ذلك النطاق والقانون وما كان لسمو هذا القرآن وشمول محاوره أن يكون من ذات محمد وعبقريته.[2]

إضافة إلى ذلك لو تدبرنا آيات القرآن وموضوعاته لوجدنا أنّ الذات تشغل، مكانا ضئيلا فنادرا ما يتحدث القرآن عن تاريخ نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، رغمّ أنّه عانى ألاما عظيمة في حياته خاصة عند فقدانه عمه وزوجته خديجة في عام واحد في أوج دعوته.وقد حزن النبي حزنا شديدا حتى سماه بعام الحزن.ورغم هذا لم نجد أي ذكر لموتهما، ولا اسم زوجته التي تقبلت في حجرها انبثاق الإسلام. فلو كان حقا القرآن من تأليف محمد لسرد فيه تفاصيل جميع حياته وأحزانه.واعتبر مالك بن نبي هذه النقطة مهمة لأية دراسة نفسية تحليلية لموضوع القرآن.[3]

المطلب الثاني : هيمنة القرآن على الكتب السماوية

من دلائل إعجاز القرآن هيمنته على الكتب السماوية ؛ ففي بيان العلاقة بين القرآن والكتاب المقدس أكد مالك بن نبي في دراسته استعلاءالقرآن في صلته بالكتب السماوية التي سبقته في آيات عديدة ،والتي أكدت أن هناك علاقة وطيدة تربط الوحي الخاتم المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بجميع ما تقدمه من

[1]- الفيلسوف تومان كارليل، نفس المرجع السابق، ص 58، 68، 80.

[2]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 196.

[3]- مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 196.

وحي[1]، قال الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾يونس : 37.فهذه الآية الكريمة نصت صراحة على تلك القرابة، فالقرآن جاء مصدقا لما جاءت به الكتب السابقة.

فهو يشتمل على الهدى الذي دعت إليه الأنبياء قبله من التوحيد والأمر بالفضائل، واجتناب الرذائل، وإقامة العدل، ومن الوعد والوعيد، والمواعظ والقصص، وجاء مصححا لأصول الإيمان ومرسخا لها وذلك لما وقع فيها من التحريف والتزييف وظهور المعتقدات الفاسدة بالله وملائكته ورسله إلى حد ناصبوا فيه الملائكة و كانوا أعداء لجبريل عليه السلام فرد عليهم القرآن مصححا وباعثا الحياة في أصول الإيمان الحق التي تشوهت لدى كثير من أهل الكتاب ومقررا لمبدأ النبوة عامة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، وتأكيد وحدة مصدر التنزيل وكمال الرسالة الخاتمة.[2]

فهذه العلاقة تهدف إلى إثبات إعجاز القرآن ، وذلك من حيثكون القرآن الكريم جاء مصدقا لما بين يديه ، وهذا يعني أن الحقائق الإلهية الموافقة للفطرة، والمنسجمة مع معطيات العقل لا يمكن أن تختلف عليها رسالة من رسالات الأنباء.وإن ورودها في هذ الكتاب دليل إعجازه ؛لأن النبي صلى الله عليه وسلم ولد أميا ونشأ في بيئة أمية، فلم يكتب له الإطلاع على ما في الرسالات السابقة وإن تصديقه لكل ما

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 119.

[2]_ زياد خليل الدماغين، محددات علاقة القران الكريم بالكتب الإلهية السابقة ومقاصدها وأبعادها المنهجية، مجلة الشريعة والقانون، العدد الرابع والثلاثون، 1429هـ - 2008م، ص 237-241.

جاءت به من حقائق خارج عن حدود العقل البشري وإمكانياته، فالتصديق للرسالات السابقة يحمل صفة الإعجاز.[1]

قال ابن عاشور: " جعل كونه مصدقا لما في التوراة علامة أنه من عند الله وهي العلامة الدينية المناسبة لأهل العلم من أهل الكتاب.فكما جعل الإعجاز اللفظي علامة على كون القرآن من عند الله لأهل الفصاحة من العرب كما أشير إليه بقوله تعالى: (ألم ذلك الكتاب) إلى قوله: (فأتوا بسورة من مثله)، كذلك جعل الإعجاز المعنوي وهو اشتماله على الهدى الذي هو شأن الكتب الإلهية علامة على أنه من عنده لأهل الدين والعلم والشرائع.[2]

وعلى الرغم من أن القرآن يعلن بكل وضوح هذا التشابه والقرابة إلى الكتب التي سبقته، فإنه يحتفظ بصورته الخاصة في كل فصل من فصول الفكرة التوحيدية، كما بين ذلك بن نبي ذلك.[3]

و هكذا فإن إعجاز القرآن عند مالك بن نبي هي صفة ملازمة له عبر العصور والأجيال، والقرآن لم يفقد جانب (الإعجاز) لأنه ليس من توابعه بل من جوهره، وإنما أصبح المسلم مضطراً إلى أن يتناوله في صورة أخرى وبوسائل أخرى، و منها ما فعله مالك بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية حيث تناول الآية من جهة تركيبها النفسي الموضوعي، أكثر مما تناولها من ناحية العبارة، فطبق في دراسة مضمونها طرقاً للتحليل.

و نخلص إلى القول :

---

[1] _ زياد خليل الدماغين، محددات علاقة القرآن الكريم بالكتب الإلهية السابقة ومقاصدها وأبعادها المنهجية، ص 244.

[2] - محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير، التحرير والتنوير، ج1، ص 450.

[3] - مالك بن نبي، نفس المصدر السابق، ص 199.

يدور موضوع هذا الفصل حول دلائل الإعجاز في الوحي عند مالك بن نبي من خلال كتابه الظاهرة القرآنية. تناولنا فيه إعجاز القرآن وتحديه لأهل الفصاحة على أن يأتوا ولو بآية مشابهة له بما فيه من الإعجاز والبلاغة ،وأهم ما جاء فيه قضية انتحال الشعر الجاهلي والرد على فرض **مرجيليوث** والمستشرقين. وأيضا المتأثرين بهم من العرب أمثال طه حسين، وبيان علاقة الشعر الجاهلي بمسألة إعجاز القرآن من حيث هو بيان مفارق لبيان البشر.

ولأن القرآن يتميز برحابة موضوعاته تكلمنا عن أهم المحاور التي اهتم بها ودعا إليها ووجه الإعجاز فيها والحكمة منها .بعد ذلك تكلمنا عن علاقة القرآن بالكتب المقدسة وصلة القربى بينها والمتمثلة في فكرة التوحيد التي دعت إليها جميع الرسالات الإلهية . وكل هذا لبيان المصدر الإلهي للقرآن وأن ما جاء فيه من الأحكام والتشريعات التي تنظم حياة الفرد والمجتمع يستحيل أن يكون من عقل بشري. وهذا كان ردا على المستشرقين الذين نسبوا الوحي إلى عبقرية محمد صلى الله علي وسلم محاولين بذلك إبطال الوحي ونفي نبوته صلى الله عليه وسلم.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد نبي الرحمة المبعوث بالهدى والبيّنات، وعلى آله وصحبه الطاهرين إلى يوم الدين.

وبعد الانتهاء بحمد الله من إنجاز هذه المذكرة سنذكر بإيجاز أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها، وهي كالآتي:

أ - النتائج:

في هذا الوقت الذي ظهرت فيه المادية الحديثة التي حاولت أن تلغي الهوية للشعوب بإلغاء دور التاريخ ومحاولة محو الذاكرة، حاول مالك بن نبي أن يبرز أهمية التاريخ بالنسبة للإنسانية وذلك بطرحه للمشكلة الدينية وإيجاد علاج لها تمثل في إثبات عقيدة التوحيد التي ظهرت بظهور البشرية واستمرت إلى يومنا هذا.

في ظلّ النزاع القائم بين الدين والعلم والعقل والحس حاول مالك بن نبي أن يجد حلا لهذه المشكلة وذلك بأنه لا وجود للتناقض بين العلم والدين فإذا كان هذا الأخير في جوهره يدرس عالم الروح والغيبيات فهو لم يكن أبدا مناقضا أو ضد العلم والعقل والحس.

في الوقت الذي ظهر فيه الصراع بين المنهج المادي والمنهج الغيبي حيث ينكر الأول منهما الثاني ويحط من مقاييسه يقدم مالك بن نبي تفسيرا للمنهجين يبين فيه حاجة كل منهج منهما للآخر كما ذكر أن القرآن قد أخبر بتكامل المنهجين معا.

حاول مالك بن نبي أن ينمي الشخصية الإسلامية وذلك بتنبيه المسلم إلى قيمة دينه وعقيدته وأنها ليست من الأسباب التي تعيقه بل هي مصدر طاقته، ولا يتحقق له ذلك إلا بالعودة الحقيقية إلى القرآن والسنة فمن خلال هتين يتحقق الاستقلال الفكري ويكون البناء الحضاري.

ذكر مالك بن نبي أن الدين الإسلامي لم يكن أبدا خاليا من هذا المنهج المادي بل على العكس فمنذ نزول القرآن وهو يدفع الإنسان إلى البحث والتدبر وإعمال العقل فالدين الإسلامي وازن في الجمع بين المذهبين المادي والروحي.

دافع مالك بن نبي عن قداسة القرآن وتوضيح سمو ما يحويه، إذ يرى أن القرآن أتى بالمناخ العقلي الجديد الذي يتيح للعلم أن يتطور كما تطور بالنسبة لمرحلته السابقة.

عاش مالك بن نبي في وسط عرف فيه العقلية الغربية ونظرتها إلى الحضارة الإسلامية فأدرك غاية الدراسات التي تقدمها الحضارات الغربية على التراث الإسلامي فتوصل إلى أن كل ما قدمته الدراسات الغربية سواء في صورة المدح والإطراء أو في صورة الذم والتشويه كان شرا على الفكر الإسلامي.

يشير مالك بن إلى ضرورة الانتباه للتأثيرات الاستشراقية ابتداء من الفئة المثقفة وقد ضرب لذلك مثلا تمثل في تأثير آراء المستشرق **مارجيليوث** حول الشعر الجاهلي على الأستاذ "طه حسين".

رتب المستشرقون عدة ادعاءات حول الرسالة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، على رأسها أن الوحي القرآني ناتج عن ذات النبي، فأثبت مالك بن نبي نبوة سيدنا محمد من خلال الدلائل التاريخية والدلائل النفسية للنبي التي استقاها من القرآن والسنة و السيرة .

أثبت مالك بن نبي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تاريخيا انطلاقا من إثبات عقيدة التوحيد التي تكررت على ألسنة جميع الأنبياء فأثبت وجود الله ثم وحدانية الله ثم إثبات رسالات الأنبياء والمظاهر الأدبية والروحية التي تصحبها ثم انتهى إلى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والرسالة الخاتمة.

أثبت مالك بن نبي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم انطلاقا من إثبات ظاهرة النبوة عامة، فنبوة محمد لم تكن حدثا فردا بل نبوته كانت امتدادا لنبوات من سبقوه من الأنبياء ويظهر ذلك في المظاهر الأدبية والروحية التي تصحبه.

استمد مالك بن نبي دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالاعتماد على القرآن والسنة باعتبارهما وثيقتين تاريخيتين لم يصبها التحريف منذ خمسة عشر قرنا بالنسبة للقرآن وخضوع السنة إلى النقد التاريخي، الذي ميز الصحيح من السقيم، والمقبول من المردود.

تناول مالك بن نبي النبي أرمياء وعرض علينا الحالة النفسية التي أصابته أثناء دعوته ثم ذكر النبي محمدا صلى الله عليه و سلم وعرض علينا الصورة النفسية التي كان

عليها في فترة دعوته و خلص إلى تماثل الصورة النفسيَّة عند القيام بالدعوة عند جميع الأنبياء و الرسل.

عقد مالك بن نبي موازنة بين النبي ومدعي النبوة بيّن من خلالها أن دعوة النبي تكون ناتجة عن قوة تدفعه أما مدعي النبوة فيكون موقفه إما موقف الانتهازيين من النبي أن يطنب في شرح رسالة النبي، وموقفه اتجاه التيار الشعبي موقف التساهل والمبالغة في الملاينة.

لم يرصد مالك بن نبي حياة محمد صلى الله عليه وسلم ابتداء من الإرهاصات التي كانت تنبئ بقدومه قبل ولادته بل تتبعها منذ أول معجزة حدثت في ذاته وهي حادثة شق الصدر ربما لأن مالك بن نبي سلّط الضوء على شخصيته صلى الله عليه وسلم، فمن بين الدلائل التاريخية التي ذكرها هي حادثة شق الصدر، البشرى من الراهب بحيرا، شهادة صحابته، وزوجته على صدقه وسمو أخلاقه.

من ضمن ادعاءات المستشرقين أن النبي كان له أمل في القيام بالدعوة، أكد مالك بن نبي من خلال ذكره لتاريخ النبي قبل بداية دعوته على أن ضمير النبي لم يكن أبدا مطبوعا بالقيام بالدعوة بل الأمر بالدعوة كان أمرا طارئا على النبي.

أراد مالك بن نبي من خلال عرضه لتاريخ النبي قبل بداية الدعوة كي يوضح لنا أن الحالة النفسية التي ساورت النبي بعد دعوته لم يُلق لها أي أثر في تاريخه قبل بداية الدعوة.

يشير مالك بن نبي إلى نقص المعلومات والتفاصيل عن حياة النبي منذ زواجه إلى بعثته، فهو يرى أن المعلومات عن هذه المرحلة ذات أهمية إذ تعد مرحلة رئيسة من الوجهة النفسية عن هذه المرحلة بالنسبة إلى تاريخ الدعوة المستقبلة.

لم يوفق مالك بن نبي في النقل التاريخي الصحيح لمدة عزلة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه ردّ على دعوى المستشرقين بأن النبي كانت تساوره المشكلة الدينية وأنه لم يكن أميا وأنه كان يقرأ كتب أهل الكتاب وأنه ألّف القرآن في مدة اعتزاله.

وضح مالك بن نبي من خلال عرضه للدلائل النفسية :

1. الحالة النفسية للنبي عندما اعترضه الوحي لأول مرة فقد ظن بنفسه الجنون والسحر.

2. الحالة النفسية للنبي بعد أن فتر الوحي عليه.
3. الحالة النفسية للنبي بعد أن أدرك حقيقة ما أوحي إليه خاصة عندما أمر بالدعوة.
4. الحالة النفسية التي عانى منها النبي عند عرض الرسالة لقومه ولاقى هوانا منهم.
5. إخلاص النبي المطلق في تأدية الرسالة رغم تعرضه للخطر ونكران رسالته.
6. تمحيص النبي وإدراكه لحقيقة ما أنزل إليه دليل على سلامة عقله.
7. إبراز العبقرية المحمدية التي الناتجة من الوحي الالهي تنفي جميع المواصفات الدنيئة التي نسبت إليه من طرف المستشرقين .

كما نقد آراء المستشرقين، التي تدعي أن الظاهرة القرآنية نتجت من اللاشعور إذ أثبت مالك بن نبي أن ظاهرة القرآن كانت تأتي في حالة يكون فيها النبي في حالة الوعي وهو بهذا شاهد على حالته.

دعا مالك بن نبي إلى ضرورة تطوير جانب الإعجاز في القرآن الكريم وذلك بما يناسب الوقت الراهن إذ يعده صفة ملازمة للقرآن عبر العصور والأجيال.

ب - التوصيات:

- إن شريعة الإسلام شريعة تربي الأخلاق وترسخ المبادئ وتشجع العلم و وتهذب النفس،ونظام يتحقق به الأمن وسلامة المجتمعات، فإن أقوى رد على المستشرقين- نوصي به - هو تكوين هوية إسلامية تربي الفرد على الأخلاق وترسخ فيه المبادئ وتنمي فيه بوادر العلم وذلك وفق ما جاء به ديننا الحنيف.

-إن أكبر خطأ قد يقع فيه طالب العلم المتصدي لعلم الاستشراق هو استقاء المعرفة الإسلامية من تحليلات المستشرقين دون العلم بها سابقا أو دون الرجوع إلى المصادر الإسلامية. وبهذا فمن الأحسن أن توضع مصادر المستشرقين تحت رقابة تدرس فيها أقوالهم وتعالج بما يناسبها من ردود قبل إصدارها في أواسط المسلمين.

- نقترح إضافة بعض التعليقات على كتاب الظاهرة القرآنية ونسبة بعض المعلومات التي نقلها إلينا مالك بن نبي إلى مضانها.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس المصطلحات
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

السورة	الصفحة
7 8 ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾الزمر: ٩	32
7 8 ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾الفتح: ٢٨	36
7 8 ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾النحل: ٣٦	52
7 8 ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾فاطر: ٢٤	52
7 8 ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾الأنعام: ٨٣ - ٨٦	53
7 8 ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾الحجر: ٩	55
7 8 ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ ﴾الشرح: ١ - ٣	61
7 8 ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾القصص: ٨٦	67
﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ	82

ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾العلق: 1	
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾المدثر: 1-2	83
7 8 ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٤٠ ﴾التوبة: ٤٠	85
7 8 ﴿.. ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ.. ۝٣ ﴾المائدة: ٣	
﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾المزمل: 5	94
7 8 ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ ﴾النجم: 1-12	94
﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝٩٤ ﴾يونس: ٩٤	96
7 8 ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢ ﴾يونس: 22	99
7 8 ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ	104

بُكۡرَةَ وَعَشِيّٗا ١١ ﴾مريم:11	
7 8 ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ﴾النحل: 68	104
7 8 ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ ٧ ﴾القصص:7	104
7 8 ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ.. ١٢١ ﴾الأنعام:121	104
قال تعالى﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١ ﴾الشورى: 51	106
7 8 ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ١٨٥ ﴾البقرة: 185	107
7 8 ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾القدر:1	108
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ ﴾الدخان: 3	108
7 8 ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾الأنبياء: 107	108
7 8 ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾يوسف: 18	110
7 8 ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾ الإسراء: 85	112
7 8 ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ ﴾البقرة:8	112
7 8 ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ١٢٠ ﴾هود:120	113

7 8 ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾الفرقان: 32	113
7 8 ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ ﴾الفرقان: 6	114
نزول﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ ﴾النساء: 95	
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ ﴾التوبة: 28	
7 8 ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٣ ﴾النساء: 23	117
7 8 ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾المنافقون:1	120
7 8 ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾النساء: 82	118

الله﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨ ﴾ الزمر: 27 - 28	120
7 8 ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨ ﴾الإسراء: 88	120
7 8 ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾الحجر: 9	121
﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾الأنعام: 38	122
7 8 ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾ لقمان: 16	123
﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾ يس: ٤٠	123
7 8 ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ ﴾الأنبياء: ٢٢	123
7 8 ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١ ﴾الزمر:30 - 31	124
7 8 ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ ﴾الحشر:18–19	124
7 8 ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ ﴾يوسف: 3	125
7 8 ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ ﴾النساء: ١٠٥	126

7 8 ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾القلم:4	127
قال الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٧ ﴾يونس: 37	130

الحديث النبوي	الصفحة
"أقضي بكتاب الله فإن لم أجد أخذت بسنة رسول الله فإن لم أجد فيها أجتهد رأيي ولا آلو"	53
عن أنس بن مالك أن رسول - صلى الله عليه وسلم - أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني : ظئره - فقالوا : إن محمدا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس : قد كنت أرى أثر المخيط في صدره.	61
عن عليّ - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله يقول: "ما هممت بقبيح مما همَّ به أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بالنبوة إلا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل من فعلهما: قلت لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فلما جئت أدنى دار من مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج فلانة، فلهوت بذلك الصوت حتى غلبني النوم فنمت، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك."	63
" كان أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي هي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها حتى فاجأه الحق فأتاه جبريل فقال يا محمد أنت رسول الله قال رسول الله:" فجثوت لركبتي ثم رجعت ترجف بوادري فدخلت على خديجة فقلت زملوني زملوني ثم ذهب عني الروع.."	82
" ثم أتاني فقال يا محمد أنت رسول الله قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق فتبدى لي حين هممت بذلك فقال: يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله. قال: إقرأ، ثم قال :إقرأبإسم ربك الذي خلق فقرأت فأتيت خديجة فقلت :لقد أشفقت على نفسي وأخبرتها خبري، فقالت أبشر فوالله ما يخزيك الله أبدا"	82
"اللهم في الرفيق الأعلى"	89
"يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه	92

وسلم: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا."	
"أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم ،وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في أثر بعض."	108
" أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان عليه الصلاة والسلام لا يرى رؤية إلا جاءت مثل فلق الصبح."	108
" إنّ روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله لا ينال ما عندهإلاّ بطاعته."	108
"ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنّ جبينه ليتفصّد عرقا."	109
"إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين."	110
".. على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي ".فقال له أبو بكر: وهل ترجوا ذلك بأبي أنت ؟ قال (نعم)."	110
" ..أما بعد يا عائشة، فإنّه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإنّ كنت بريئة فسيبرئك الله، وإنّ كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب إلى الله تاب الله عليه."	110
" إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا."	111
"قلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي ؟ قال:" نعم، أسمع صلاصل، ثم أثبت عند ذلك، وما من مرة يوحي إلي إلا ظننت أنّ نفسي تفيض منه."	115
"كان خلقه القرآن"	136
" إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق "	136

الاسم	الصفحة
توينبي: هو مؤرخ وفيلسوف إنجيلي ولد في لندن سنة 1889م وتوفي عام 1665م من أهم أعماله دراسة التاريخ ويعتبر من أشهر المؤرخين في القرن العشرين	18
نيتشه: هو فيلسوف ألماني ولد سنة 1844 كان أستاذ أصول اللغات في بال عام 1869م تأثر بفلسفة شوبنهور توفي سنة 1900 من مؤلفاته هكذا تكلم زرادشت	18
ميكائيل انجلو جويدي:ولد 19مارس 1886م في مدينة روما التحق بجامعة روما 1904م تخصص في الدراسات الكلاسكسية اليونانية واللاتينية تفيا عام 1946م	28
لامنس: ولد في مدينة بلجيكا سنة 1862م وهو راهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام انتقل إلى بيروت في صباه وتعلم في الكلية اليسوعية في بيروت عمل على إدارة مجلة المشرق وارتكز إنتاجه حول موضوعين رئيسيين السيرة النبوية بداية الخلافة الأموية توفي في 23أفريل 1973م.	29
ديكارت: ولد رينيه ديكارت في 31 مارس 1596م في قرية لافي في فرنسا درس اللغات القديمة والمنطق والأخلاق والرياضيات والميتافيزيقا وهو صاحب كتاب قواعد لهداية العقل وكتاب رسالة في العالم والمقال في المنهج والتأملات	31
مرجيليوث: درس في أكسفورد الآداب الكلاسيكية اليونانية واللاتينية ثم انتقل إلى دراسات اللغات السامية وعين استاذا في جامعة أكسفورد في 1889م متب بحثا عن أوراق البردي العربية في مكتبة بوردلي في أكسفورد وترجمة قسما لتفسير البيضاوي إلى الانجليزية في 1894م ونشر رسائل أبي العلاء المعري 1898م وفي سنة 1905 بدأ بنشر دراساته عن الإسلام وذلك بكتاب محمد ونشأة الإسلام.	38
أرسطو: ولد أرسطو في اسفاهير وتعرف اليوم باسم ستا فرو سنة 3084ق م وتوفي 322ق م كان من نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني زهو احد تلاميذ افلاطون.	45

هيجل: فيلسوف ألماني ولد في فيشتوتادار 1777م مات بالكوليرا في 1831م كتب تأملات ومقالات وحتى القصائد بعنوان ايلوزلس من مؤلفاته كتابات الشباب حول اللاهوت ومن مقالاته الإيمان والعلم، حول المنهج العلمي في القانون الطبيعي.	53
وليام موير: مستشرق ومبشر وموظف إداري انجليزي ولد في جلاس جو في 27 أفريل1819م اشتغل ف الإدارة المدنية في شرعة الهند الشرقية من مؤلفاته شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية ونشر عدة مقالات تناول فيها تاريخ العرب قبل الإسلام	57
ألويس شبرنجو مستشرق نمساوي الأصل ثم تجنس بالجنسية الانجليزية ولد في 3 سبتمبر 1813م اشتهر بكتابته عن حياة النبي صل الله عليه وسلم	58
هو عميد الدراسات العربية بجامعة أدميرا من آثاره عوامل انتشار الإسلام محمد في مكة الإسلام والجماعة الموحدة	62
بروكلمان ولد في 17 سبتمبر 1866 في مدينة روستوك اهتم بالدراسات الشرقية ة كتاب الأدب العربي وصنف أجزاءه الخمسة	62
فجولد تسيهر: كان ميلاده في الثاني والعشرين من شهر يونيو سنة 1850 م بمدينة أشتلو لقنينبرغ في بلاد المجر تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها في بودبست وليبزيج ترك جولد تسيهر أثارا كبيرة ومتنوعة شملت معظم العلوم الاسلامية عن الاسلام وفقهه والأدب العربي	66
أرمياء:الاسم بالعبرية يهوه يهين ،وأبوه حلقيا كاهن عاش في مدينة الكهنة عناثوث وهي إحدى مدن بن يامين على بعد أميال من أورشليم.	72
توما: ولد 1225م-1274م ولد في قصر روكا تيكا بمدينة ايكويني من أسرة ألمانية شريفة تعلم في دير مونتيه كاسينو للرهبان البوناكتيين سنة 1230م التحق بجامعة نابولي وكان من طلابها المعنيين على ترجمات ميخائيل سوكت باللاتينية ومزال فلسفته أساس الدراسات اللاهوتية الكاثوليكية حتى اليوم من كتبه خلاصة المذهب الكاثوليكي وحدة العقل مجموعة الردود على الخوارج	75
الحازي: بالعربية حوزيه وهو العراف، سيجال. حول تاريخ الأنبياء عند نبي إسرائيل	76
كارليل ولد 1795م-1881م من أثاره الأبطال وفيه عقد فصلا عن الثورة	80

الفرنسية	
نولدكه ولد بنودر في 2 مارس 1836م بمدينة هاربودج ويعد شيخ المستشرقين الألمان تحصل على الدوكتوراه الأولى في 1856م برسالة عن تاريخ القرآن كان متقنا إلى اللغات السامية (العربية، الوريانية والعبرية) اهتم بدراسة الشعر العربي القديم والنحو العربي والنحو المقارن للغات السامية.	81
زويمر: هو رئيس المبشرين في الشرق الأوسط تولّ تحرير مجلة عالم الإسلام التي أنشأها مع ماكدونلد له مصنفات في العلاقات بين النصرانية والإسلام أفقدها بتعصبه وتضليل قيمته العلمية	113

المصطلحات	الصفحة
الدين يعني وبشكل متبادل الإيمان، يعرف عادة بأنه الاعتقاد المرتبط بما فوق الطبيعة، المقدس الإلهي ،كما يرتبط بالأخلاق ، الممارسات ، المؤسسات المرتبطة بذلك الاعتقاد وبالمفهوم الواسع، عرفه البعض على أنه المجموع العام التي يفسر علاقة البشر بالكون	44
معبد سليمان: هو الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام بأمر من أبيه داوود يقول ولديورانت يعد بناء الهيكل من أهم الأحداث في ملحمة اليهود فإنه لم يكن بيتا ليهوه فحسب، بل كان مركزا روحيا لليهود. أحمد شلبي، مقارنة الأديان اليهودية	42
علماء الاجتماع وعلماء الإنسان ينظرون إلى الدين على أنه مجموعة مجردة من القيم والمثل والخبرات التي تتطور ضمن المنظومة الثقافية للجماعة البشرية فالدين البدائي كان من الصعب تمييزه بنظرهم عن العادات لاجتماعية الثقافية التي تستقر في المجتمع لتشكل البعد الروحي له	43
مذهب وحدة الوجود (الحلولية): هو الإقرار بأن الله والعالم شيء واحد لا غير ويمكن أن يفهم بمعنيين:الله هو الواقع الذي توجد فيه الأشياء وليس العالم شيئا آخر غير تجلياته وأحواله اللاجوهرية وهذا رأي سبينوزا. العالم هو الواقع الوحيد وليس الله غير مجموع الوجود (مذهب ديدرو).	49
الديكارتية: مذهب عقلي مثالي يقوم على التقابل التام بين المادة والروح، وربط الوجود بالتفكير يرى في الوضوح أساس اليقين ويحاول أن يفسر العالم تفسيرا رياضيا عقليا فوضع دعائم الفلسفة الحديثة التي عارضت فلسفة أرسطو.	50
الحازي: بالعربية حوزيه وهو العراف	70

القرآن الكريم برواية حفص

الكتاب المقدس ، مكتبة وصال العرب، كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت -الاسكندرية مصر - .http://St-Takla.org

أولا: المصادر

1- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية،ترجمة عبد الصبور شاهين،ط13 1436هـ-2015م دار الفكر المعاصر بيروت،دار الفكر دمشق .

2- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين، ط1 ،1388هـ-1969م، دار الإرشاد ، بيروت.

3- مالك بن نبي، تأملات،ط2 1423هـ-2002م، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر المعاصر دمشق، سورية .

4-مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط5 1420هـ-2000م، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر المعاصر، دمشق سورية.

5-مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ط1 1412هـ-1991م دار الفكر الجزائر ودار الفكر دمشق، سورية.

6-مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كمال مسقاوي، ط1406هـ- 1986م،دار الفكر دمشق سورية.

7-مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي،ترجمة عبد الصبور شاهين، ط2 1423هـ-2002م، دار الفكر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية.

8- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر د بسام بركة وأحمد شعبو، ط1423هـ -2002م دارالفكر المعاصر بيروت لبنان –دار الفكر المعاصر ،دمشق سورية.

9- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، القسم الأول الطفل، 1905-1930م، والقسم الثاني الطالب 1930-1939م، (ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت). القسم الأول: 1969م، القسم الثاني: 1970م.

10- مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، 2002

11- طه حسين، في الشعر الجاهلي، مكتبة دار الندوةالالكترونية.

12- أغنتس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام ،ط1: 2009م،منشورات الجمل ،بغداد ،بيروت.

13- منتجمري وات، محمد في مكة، المكتبة الالكترونية.

ثانيا: المراجع

14- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ط1، 1407هـ -1987م، دار الكتب العلمية، بيروت، مجلد1.

15- ابن فارس، أبو الحسين أحمد فارس زكريا، معجم مقايس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دون طبعة، دار الفكل، بيروت، لبنان)، (420/هـ -1999م)، ج4.

16- المقريزي، امتاع الأسماع ،تم نشر هذا الكتاب إحياءا لذكرى وفاة والد السيدة هانم الدرمداشية السيد عبد الرحيم الدرمداش ، من قبل اللجنة رئيس اللجنة أحمد أمين ،إخراج محمود محمد شاكر.أحمد شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، ط8 -1988م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة .

17- م. ص سيجال، حول تاريخ الأنبياء عند نبي إسرائيل، ترجمة وتعليق د. حسن ظاظا، د ط، د ت.

18- بوعزة صالح، قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد وإصلاح المجتمعات العربية في ظل العولمة الثقافية، وحدةبحث تنمية الموارد البشرية،جامعة محمد لامين دباغين، سطيف2.

19- الأمين عبد الله محمد، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997م.

20- الأب متى المسكين،النبوة والأنبياء في العهد القديم ،ط3 ،2014 م ،دار مجلة مرقس القاهرة ،ص:210.

21- الحاج ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م.

22- إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، ط1 اغسطس 1964، مكتبة الوعي العربي- الفجالة .

23- عمار توفيق أحمد بدوي، مقومات الحضارة وعوامل أفولها،قدمت هذه الأطروحة استكمالا لدرجة الماجيستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية بإشراف ، د محسن سميح الخالدي، نابلس، فلسطين ،2005م .

24- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، تحقيق محمد باسل عيون السود (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية)، 1419هـ-1998م.

25- الراغب الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في ألفاظ القرآن (د. طبعة، الميمنة، 132هـ)

26- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية)، 2005.

27- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، (ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي).

28- حسن ضياد الدين عنس، نبوة محمد في القرآن (ط1، حلب، دار النصر)، 1393هـ-1973م.

29- بدران بن مسعود الحسني ، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، ط1 1999 دار الكتب القطرية، الدوحة وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية.

30- عمر بن عيسى، مالك بن نبي في تاريخ الفكر الإسلامي، إ عمر كمال مسقاوي ، ط2 ،1431هـ-2010م، دارالفكر دمشق سورية.

31- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954.

32- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، (دون طبعة، دار المعرفة، 2006.

33- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، 1830-1954.

34- صلاح العقاد، الجزائر المعاصرة ،القاهرة جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، 1964.

35- أبو القاسم سعد الله، كتاب الحركة الوطنية، ج 1، (ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت)، 1962.

36- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1989، ج1.

37- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م.

38- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج 5/ دار صادر، بيروت.

39- صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، (ط1، دار عمار، عمان، 1421هـ-2000م.

40- عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، (ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت)، 2012.

41- عمرمحمد راجح، عمر أبوليل، الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2014.

42- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني في معجم التعريفات تحقيق محمد صديق المنشاوي، د ن ط، دار الفضيلة، القاهرة.

43- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (ط9، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ-1973م)، ص 139.

44- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (ط9، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ-1973م).

45- محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام ،الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ثلاث رسائل، (ط3، دار المعارف، مصر).

46- محمود بن علي بن أحمد، إعجاز القرآن الكريم عند الإمام ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، عرضا ودراسة.

47- أبو بكر محمد بن طيب البقلاني، ترجمة السيد أحمد صقر، (دون طبعة، دار المعارف، مصر).

48- تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف، (ط11، دار المعارف، القاهرة)، ج1.

49- طارق بوحالة،دراسة نفسية تحليلية في كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسن، الأدب العربي في الدراسات الاستشراقية العدد الثاني، ماي 2013.

50- محمد الغزالي، المحاور الخمسة، للقرآن الكريم، (دون طبعة، دار الشروق).

51- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، (ط17، دار الشروق)، ص 1425هـ-2004م.

52- محمد الأمين المراكشي، محمد خيضر، مالك بن نبي ومنهجه الاصطلاحي ، (جامعة بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ). مذكرة ماستر 2017/2016

53- لويزة لعميري، نظرية الثقافية عند مالك بن نبي، دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، جامعة ملود معمري، تيزي وزو، 2014.

54- شكيب أرسلان، الشعر الجاهلي أمنحول أم صحيح النسبة، تحقيق محمد العبدة، ط1 ،1400هـ-1980م، دار الثقافة للجميع دمشق.

55- عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم العبداللطيف ، ضوابط الجرح والتعديل،طبعة مزيدة و منقحة ، مكتبة العبيكان.

56- حسن موسى محمد العقيبي ، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجيستير، الجامعة الإسلامية غزة، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، 1426هـ-2005م.

57- إسماعيل أحمد الطحان ،تاريخ القرآن بين تساهل المسلمين وشبهات المستشرقين ، دون ط ، دون ت ن.

58- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، ،إعداد وتفسير، مجموعة من الكهنة وخدام الكنيسة.

59- فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني، مدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث،كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ،1433هـ.

60- خالد بن عبد الله القاسم ،مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإنسانية (الاستشراقية) ط1، 1431هـ-2010م، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية.

61- عبد الله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية ط1، 1417هـ-1997م ،المعهد العالي للفكر الإسلامي هيرندن فيرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية.

62- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الكتاب الحديث، لبنان، 1435هـ-2014م.

63- الفيلسوف تومان كارليل، الأبطال، ترجمة محمد السياعي، (دون طبعة، دار الكتاب العربي).

64- محمد الطاهر بن عاشور أصول النظام الاجتماعي (ط1، دار السلام، القاهرة)، 1426هـ-2005.

65- صفي الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، ط21، دار الوفاء، مصر، 1436-2015م.

66- إعداد وتحرير نخبة من العلماء بإشراف، إبراهيم زكي خورشيد أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس، موجز دائرة المعارف الاسلامية، جزء 11 ط1، 1418هـ- 1998م ،مركز الشارقة للابداع الفكري.

67- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، (دار البصائر، الجزائر، 2007.

68- يوسف الكلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التنقية والقديس، إصدار1: 2009م، دار صفحات للدراسة والنشر سورية، دمشق.

69- عمار بوحوش، تاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، (ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت).

70- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، 1830-1954م، (دون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر).

71- رضا محمد الدجقي، الوحي المحمدي بين الإنكار والتفسير النفسي، ط1، 1430هـ-2009م، دوحة، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، دولة قطر.

72- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، 1830-1954م.

73- زياد خليل الدماغين: محددات علاقة القران الكريم بالكتب الإلهية السابقة ومقاصدها وأبعادها المنهجية: مجلة الشريعة والقانون، العدد الرابع والثلاثون، 1129هـ - 2008م.

74- عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1889-1985، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ.

75- إدريس حامد محمد، أراء المستشرقين حول مفهوم الوحي.

76- علي بن إبراهيم النملة ، نقد الفكر الاستشراقي ، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، 1431هـ-2010م.

77- جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ج1،دون طبعة

78- شهاب الدين عبد الرحمان بن اسماعيل بن إبراهيم المعرف بأبي ش امة المقدسي، المرشد الوجيز إلى علوم القرآن تتعلق بالكتاب العزيز، (الطبعة 1، دار الكتب العلمية، بيروت)، 1424هـ-2003م.

79- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، ابن قيم الجوزية، زاد المعارف في هدي خير العابد، ج1.الألباني،صحيح الترغيب.

80- البخاري، الجامع الصحيح ج1،ج3.

81- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1

82- إبراهيم الأنباري، الموسوعة القرآنية، ج2، دون طبعة، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ-1998م.

83- محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ج3، (ط1، دار الكتب العلمية بيروت)، 1424هـ-2003م.

84- محمد الرازي فخر الدين، تفسير فخر الدين الرازي، ج 10، (ط1، دار الفكر)، 1401-1981م.

85- عماد الدين أبو الفداء،إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج3، (ط1، مؤسسة قرطبة، جيزة)، 1421هـ-2000م

86- محمد حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، (ط3، دار القلم، الكويت)، 1403هـ-1983م.

87- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1.

88- الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير، ج28.

89- الزمخشري ، الكشاف،تحقيق خليل مأمون شيحا، ط3 دار المعرفة بيروت 1430هـ-2009م .

ثالثا:المجلات.

90- أكرم بوجمعة، أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، مجلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة تلمسان، الجزائر.

91- حسن بو زياينية، نقد مقدمات الأبلامنس النقدية، مجلة دراسات استشراقية ، عدد11، 2017م.

92- حورية قادري، النص والتلقي في الظاهرة القرآنية عند مالك بن نبي، جامعة طاهري محمد بشار الجزائر، مجلد7، مجلة دراسات،العدد:2، ت ن: جوان 2018م.

93- سعاد أسامة صاحب منعم، الأوضاع الاقتصادية العامة للجزائر في ظل إدارة الفرنسية 1830-1962، مجلة بابل للدراسات الإنسانية، العدد 3.

94- نذير حمدان، الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين،مطبوعات رابطة العالم الاسلامي، دعوة الحق سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربي.

95- قرواز الداودي، فلسفة التغيير عند مالك بن نبي، مجلة العلوم الاجتماعية العدد: 30، 19 ديسمبر2014

96- فكري جواد عبد، أثر الفلسفة في تطوير مفهوم النبوة عند اليهود فلسفة ابن ميمون نموذجا، مجلة مركز دراسات الكوفة ،مجلة فصلية محكمة ،العدد 38، 2015م.

97- ياسمينة كتفي، التحولات الاجتماعية في نظر مالك بن نبي، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية المجلد 9 العدد 1 2019م ص 77 -94 تاريخ النشر 12-6-2019م جامعة محمد بوضياف المسيلة.

رابعا: المواقع

98- عبد الرحمن بن عمارة، التغيير في نظر مالك،أكتوبر م2011، موقع الهقار.

99- عبد الحميد مدكور، أثر العقيدة في بناء الحضارة لدى مالك بن نبي وفتح الله كولن ،11.5.2018 موقع نسمات.

100- محمد العبدة، قراءة في فكر مالك بن نبي، مجلة البيان ، العدد [23] 29 جمادى الأولى 1410 ، ديسمبر 1989 ملتقى أهل الحديث.

101- أحمد مسعود، فلسفة التاريخ عند مالك بن نبي، موقع، مالك بن نبي/ثقافتنا - العدد ٢، د ت ن .

102- علي بن إبراهيم النلمة،السيرة النبوية والاستشراق، ت ن2016/2/8-1437/4/28، موقع شبكة الألوكة.

103- عماد الدين الزرقان، الحداثة والإله والنبوة الأنسنة (5)، ت ن، تاريخ النشر 29. 05. 2016، موقع البوصلة.

104- حول الظاهرة القرآنية للأستاذ مالك بن نبي، كتابندوات ميزاب في الثقافة والحضارة والمجتمع، مجموعة من ندوات سمعية للمفكر مالك بن نبي تم تنزيلها برمجت بمناسبة زياراته إلى منطقة ميزاب في ماي 1968ت ن:2017.11.02م، موقع فيلسوف الحضارة مالك بن نبي.

105- خالد يونس خالد،التحقق من آراء المستشرق اليهودي البريطاني مارجيليوث في اللغة عربية والشعر الجاهلي،ت ن2008.02.14، مركز النور للدراسات.

خامسا:المعاجم.

106- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط1982م، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، ج2.

107- مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، ط1 ،2009م، دار أسامة للنشر والتوزيع عمان الأردن .

108- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، القاموس المحيط، (ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة)، 1426هـ-2005م.

109- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج 15، (دون طبعة، دار صادر، بيروت).

مقدمة:.....(ا-ز)

فصل تمهيدي: مالك بن نبي عصره وحياته .....(1-22)

تمهيد:.....2

المبحث الأول:الخصائص العامّة لبيئة مالك بن نبي.....2

المطلب الأول:الأوضاع السياسيّة.....2

المطلب الثاني:الأوضاع الاقتصادية.....4

المطلب الثالث:الأوضاع الاجتماعية والثقافية.....6

المبحث الثاني:مالك بن نبي حياته وأعماله.....8

المطلب الأول:مولده ونشأته.....8

المطلب الثاني: رحلاته.....11

أولا: رحلاته الداخلية:.....11

1. رحلته إلى تبسة:.....12
2. رحلته إلى أفلو:.....13
3. رحلته إلى شلغوم العيد (شاتودان):.....13

ثانيا: رحلاته الخارجية.....13

1. باريس:.....13
2. رحلته إلى مصر:.....15

المطلب الثالث: تكوينه وإنتاجه الفكري.....16

أولا: تأثير الأسرة و الزوجة.....17

1. أسرته المحافظة:.....17

2. زوجته خديجة:.....17

ثانيا: التنوع الثقافي العربي والغربي.....17

ثالثا:عطاءه الفكري وآثاره.....18

الفصل الأول: دوافع مالك بن نبي و أهدافه من دراسة ظاهرة الوحي.....(23-42)

تمهيد:.....24

المبحث الأول: دوافع مالك بن نبي من دراسة ظاهرة الوحي..... 24

تمهيد.....24

المطلب الأول: التطور الثقافي في العالم الإسلامي.....24

المطلب الثاني: تأثير الدراسات الاستشراقية على الفكر الديني لدى الشباب الجامعي.....27

المطلب الثالث: تأثير الفكر الديكارتي على فكر الشباب المسلم.....31

المبحث الثاني: أهداف مالك بن نبي من دراسة ظاهرة الوحي.....34

تمهيد.....34

المطلب الأول: تمكين الشباب المسلم من فرصة التأمل الناضج في الدين.....34

المطلب الثاني: اقتراح إصلاح مناسب في التفسير القديم.....37

الفصل الثاني: الدلائل التاريخية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عند وسلم مالك بن نبي..... (43-69)

المبحث الأول: الظاهرة الدينية ظاهرة تاريخية أصلية.....44

تمهيد:.....44

المطلب الأول: إثبات وجود الله.....44

المطلب الثاني: إثبات وحدانية الله.....48

المطلب الثالث: إثبات النبوة كظاهرة.....51

المبحث الثاني: إثبات الوثيقتين التاريخيتين للإسلام (القرآن والسنة).....55

تمهيد:.....55

المطلب الأول: القرآن.....55

المطلب الثاني: السنة.....57

المبحث الثالث: إثبات نبوة محمد قبل البعثة.....60

تمهيد:.....60

المطلب الأول: دلائل نبوته من طفولته إلى شبابه.....60

تمهيد:.....60

المطلب الثاني: دلائل نبوته بعد زواجه وقبل بعثته.....65

الفصل الثالث: الدلائل النفسية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عند مالك بن نبي.....(70-101)

تمهيد:.....71

المبحث الأول : النبوة ظاهرة نفسية مستقلة عن إرادة النبي.....71

تمهيد:.....71

المطلب الأول :النبوة.....71

المطلب الثاني: دعوى النبوة.....75

المبحث الثاني :النبوة ظاهرة مستقلة عن اللاشعور.....79

تمهيد:.....79

المطلب الأول: محمد صلى الله عليه وسلم وبداية الوحي.....79

المطلب الثاني: صمود النبي أمام البلاء وإخلاصه في تأدية الرسالة..... 84

المبحث الثالث: الظاهرة النبوية مستقلة عن الظاهرة القرآنية.....89

تمهيد:.....89

المطلب الأول: المقياس الظاهري.....89

المطلب الثاني: المقياس العقلي..... 93

المطلب الثالث: مقام الذات المحمدية في ظاهرة الوحي.....97

الفصل الرابع: إثبات المصدر الإلهي للوحي عند مالك بن نبي.....(102-121).

تمهيد:.....102

المبحث الأول: ماهية الوحي عند مالك بن نبي.....102

تمهيد:.....102

المطلب الأول: مفهوم الوحي 102

1. الوحي في اللغة:.....102
2. معنى الوحي في الإصطلاح.....104

المطلب الثاني : الوحي عند مالك بن نبي.....105

المبحث الثاني : خصائص الوحي عند مالك بن نبي.....107

تمهيد.....107

المطلب الأول: تنزيل القرآن الكريم منجما.....107

1. كيفية نزول الوحي.....107
2. الحكمة من نزول القرآن منجما.....111

المطلب الثاني : الوحدة القرآنية.....114

1. الوحدة الكمية.....114
2. أمثلة على الوحدة القرآنية.....116

ا-الوحدة التشريعية من سورة النساء.....116

ب- الوحدة التاريخية من سورة المنافقون.....119

الفصل الخامس: دلائل إعجاز القرآن الكريم عند مالك بن نبي.....(122-141)

تمهيد.....123

المبحث الأول : الإعجاز الأدبي للقرآن.....123

تمهيد:.....123

المطلب الأول : تعريف الإعجاز في اللغة والاصطلاح.....123

أولا- الإعجاز لغة.....123

ثانيا- الإعجاز اصطلاحا.....124

المطلب الثاني: الصورة الأدبية في القرآن.....125

أولا- تحدي القرآن لفصّاح العرب.....125

ثانيا- أثر القرآن على لغة العرب.....128

المبحث الثاني: الإعجاز في مضمون الرسالة.....131

تمهيد.....131

المطلب الأول: محاور القرآن.....132

أولا-التوحيد النبوة.....132

ثانيا- البعث والجزاء.....133

ثالثا-القصص القرآني.....134

رابعا-التشريع والأحكام.....135

خامسا-الأخلاق.....136

المطلب الثاني : هيمنة القرآن على الكتب السماوية.....138

الخاتمة.....(142-145)

أ- النتائج.....142

ب- التوصيات.....145
الفهارس.....(146-173)
فهرس الآيات.....147
فهرس الأحاديث.....153
فهرس الاعلام..... 155
فهرس المصطلحات.....158
فهرس المصادر والمراجع.....159
فهرس الموضوعات.....171
الملخص

درس مالك بن نبي الظاهرة القرآنية فتناول في إثباته للوحي جانبين أساسيين هما مادة الوحي والشخصية الموحى إليها (النبي).

أثبت مالك بن نبي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم انطلاقا من إثبات النبوة عامة التي تعتبر سفارة بين الخالق والمخلوق لتبليغ البشر حقيقة من أوجدهم والغاية التي خلقوا لأجلها.ثم أثبت نبوته صلى الله عليه وسلم انطلاقا من القرآن والسنة باعتبارهما وثائق تاريخية لم يعتريهما التحريف على مر الزمان.

أثبت مالك بن نبي من خلال عرضه لتاريخ النبي قبل البعثة أن النبي لم يكن له أمل في القيام بالدعوة ولم يكن يعاني من حالة نفسية ولم يكن دارسا عند أهل الكتاب أو أنه استقى معلومات من ديانات وضعية أخرى.

عرض علينا مالك بن نبي الحالة النفسية التي صاحبت الرسول صلى الله عليه وسلم تمثلت في الشك عندما حلّ عليه الوحي وعندما فتر عليه، كذلك تمثل في صبره وإخلاصه في تبليغ الرسالة.

ردّ مالك بن نبي على قول المستشرقين أن الوحي تكوّن في حالة اللاشعور فذكر أن محمد صلى الله عليه وسلم كان شاهدا على حالته وحتى أصحابه،كما ذكر أن النبي قد توصل إلى معرفة حقيقة ما أوحي إليه بعقله الموضوعي ،فأدرك أن ما يأتيه هو من قوة عليا الذي تدفعه دفعا إلى تبليغ ما أمر به وهذه الصفة تجلت في جميع الأنبياء.

كانت هذه جهود مالك بن نبي في الرد على المستشرقين الذين نسبوا القرآن إلى عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم محاولين بذلك إبطال الوحي ونفي النبوة عنه.